روايات عبير

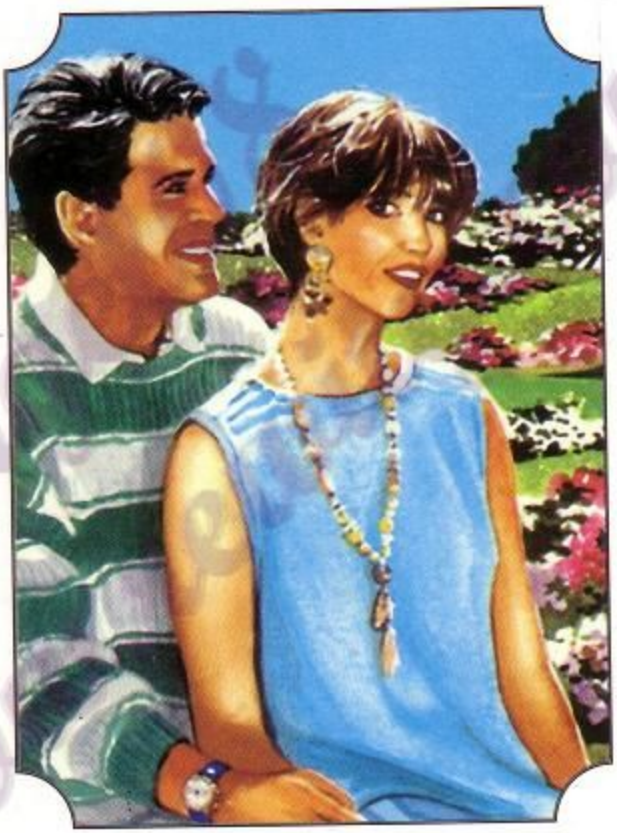

ثمرة الحب

جودي هوبر

٣٠٠

روايات عبير

N 300

" كانت مهتاجه وخائفة "

كان اختيار مدير فرقة الباليه العالمي " هارلم بارنسكي " لا كمصممة لمناظر فرقته بمثابة حلم لها قد تحقق.

وكانت متأكدة - بما هي عليه من عدم خبرة رغم مواهبها، وبطبيعتها المرتبكة أنّها لن تكون قادرة على تحقيق المستويات التي يضعها لعمله، ولكنها انتهزت الفرصة.

كان " هارلم بارنسكي " رئيس عمل قاسياً، يطارده ماضيه...

ورغم ما كان بينهما من تجاذب، كان " هارلم " مستعد الآن يضعها في أقصى درجات الإختبار قبل أن يوليها ثقته".

ثمن النسخة

لبنان ـــ ٢٥٠٠ ل.	قطر ـــ ٨ ريال	Canada ـــ 6 $
سوريا ـــ ٧٥ ل.	مسقط ـــ ٧٥٠ بيسة	U.K. ـــ 2 £
الأردن ـــ ١ دينار	مصر ـــ ٤ جنيه	U.S.A. ـــ 4 $
السعودية ـــ ٨ ريال	المغرب ـــ ٢٠ درهم	Greece ـــ 1500 drs
الكويت ـــ ٧٥٠ فلس	ليبيا ـــ ١ دينار	Cyprus ـــ 2 £
الإمارات ـــ ٨ دراهم	تونس ـــ ٢،٥ دينار	France ـــ 20 Fr.
البحرين ـــ ٧٥٠ فلس	اليمن ـــ ٢٥٠ ريال	

www.rewity.com

تقديم

" حينما يغلق باب ، يفتح آخر " . وردت هذه العبارة على لسان بطل هذه الرواية ، وهو شاب كان نجمه يصعد كالشهاب لكنه يصاب وهو في أوج مجده بحادثة تقعده ، ولكن ، وبعد امتصاص الصدمة . يأبى أن يكون في الحياة كما مهملا . ولم يكن ما يثقل كاهله هو أثر الحادثة فقط ، بل كان الهم الأكبر الذي يملأ قلبه هو إحساسه بالذنب لمن تسبب في قتلهم - من وجهة نظره - فانطلق يكفر عن هذا الذنب بمساعدة الآخرين بكل طاقته ، وكأنه يجد في خلق الحياة الجديدة تكفيرا عما تسببه من فقد الحياة .

ولكن ، ألا يستحق هو من يرفع عنه ما يعانيه من آلام وأحزان ، هذا هو الدور الذي تصر بطلة القصة على أن تقوم به معه ولو على كره منه ، مؤمنة بأن المرء مهما بلغت ذنوبه ، يجب أن تتاح له فرصة الحب تكفيرا وتطهيرا .

شخصيات الرواية

" تيفاني ملجروف " : مصممة مناظر مسرحية في بداية حياتها المنشودة .

" هارلم بارنسكي " : راقص شهير ومدير فرقة " باليه " .

" فرانك شور " : مصمم مناظر مسرحية مشهور .

سألها بطريقة ساحرة :

- "ربما أقصد الابتهاج ؟ "

وقالت تذكره ، وهي رافضة أن تنخدع :

- " لقد قلت بلاهة " .

ورفع حاجبيه الداكنين :

- " حسنا ، نعم ، ربما قليل من ذلك ، أليس كذلك ؟ إن رداءك الأسود الجلدي يجعلك تبدين أنيقة وناضجة يا آنسة "ملجروف" ثم استطرد : " ولكن تحت هذا السطح تكمن الفتاة المرعوبة والمرتبكة ، التي كانت ممددة بطريقة ساحرة تحت قدميّ " . وشهقت "تيفاني" . وكانت يداها ترتعشان وهي تنحني لتضع كاسها الفارغة على المائدة .

وضحك "هارلم بارنسكي" :

- " أظن أن هذا يثبت وجهة نظري " .

- " ما الذي يثبت وجهة نظرك ؟" .

- " أنك سهلة الاستثارة " وبدا كما لو كان يتحرك مقتربا منها . ولكن كان صوته فقط الذي تغير ، واستطرد : " اهدئي يا آنسة "ملجروف" . فلا مناص من حدوث الأسوأ" .

angelos community.com

الفصل الأول

ما إن توقفت السيارة الأجرة حتى اندفعت " تيفاني " خارجة ، مادة يدها بورقة من فئة الخمسة جنيهات لسائقها . وشهقت قائلة :

-" احتفظ ببقيتها " . مفكرة في أسى في نظامها الغذائي للأسبوع التالي ، أساسا من شوربة العدس ، ثم اندفعت عبر الرصيف إلى بوابة كلية الفنون .

كانت مجرد ضربة حظ أن يكون عيد ميلادها الحادي والعشرون في الليلة السابقة مباشرة . وقد كانت تود أن تكون أكثر تبكيرا في هذا الصباح بالذات، إن لم يكن لشيء فلأجل ما شاع من أقاويل .

وكانت قد غادرت سكنها المشترك متجهة مباشرة للكلية ، فوجدت في فنائها ما يؤكد تلك الأقاويل . أشخاص منتشرون لم ترهم من قبل ، ليس منهم أحد من مجموعتها ، طلبة أزياء ، رسامون ، نحات أو اثنان، لم يعن أحدهم بأن يلتفت إليها وهي تحاول أن تتمالك نفسها بأسرع ما يمكنها .

وابتسمت لنفسها وهي تتجه للسلم ، لتصعده درجتين درجتين ، مشغولة في نفس الوقت بربط شعرها الداكن المتموج خلف عنقها بشريط ماسك ، لقد كانت حفلة ، وأية حفلة ! وعلى غير توقع بالمرة . كانت فكرة "جيني" و "بات" أن يفاجئاها بتلك الصورة . لقد رجعت إلى مسكنها الليلة الماضية منهكة القوى ، بعد أن عملت إلى التاسعة مساء في مشروعها النهائي . وكان آخر شيء تفكر فيه ، هو حفلة ، وهي تدخل المسكن الذي بدا خاليا ، أنواره كلها مطفأة . وفور أن خطت للداخل ، سطعت الأنوار فجأة ، ودوى المكان بالتحية :

- " عيد ميلاد سعيدا " تيف " !! ولوحت لها " بات " - مبتسمة - بقنينة في يدها :

" مفاجأة ، مفاجأة " . " ثم بدأ الجمع يخرج من بقية الغرف .

كان الكل موجودين ، بما فيهم صاحبة المنزل . وكانت فكرة دعوتها لـ"جيني" الماهرة في كل شيء إلى النهاية ! ولم يكن لها - في ظرف كهذا - أن تفكر في اليوم التالي ، أو أن تبدي رغبتها في النوم .

وكانت تلهث حين وصلت الطابق الثالث ، وتستدير مسرعة حول ناصيته أعلى السلم . كان زملاؤها ، مصممو مناظر المسارح ، قد اهتموا مثلها بأن يحضروا مبكرين هذا الصباح ، وكانت تتذكر صوت "جيني" في أذنها وهي تغالب النوم ، لتتقلب عشر دقائق أخرى . ورفعت يدها لتلقي نظرة على ساعة يدها . كانت متأخرة ثلث الساعة يا للسموات . لم يكن ذلك ليهمها عادة . فهي قادرة على تعويض التأخير . أما في هذا اليوم بالذات فقد سرى الهمس بأنه يوم متميز ! لقد انتشرت الأقاويل انتشار النار في الهشيم . حين لمحت سكرتيرة عميد المعهد إلى أن مجموعة من الفرقة القومية للباليه سوف تقوم بجولة في استوديوهات المعهد . هل من أجل البحث عن مواهب ؟ لا أحد يعلم بالضبط . ولكن ذلك كان كافيا لإطلاق شرارة الانفعال .

ثم تأكدت الأقاويل من عبارة بدرت من كبير المحاضرين ، نقلت عن طريقهم للمدرسين ، فطلبة السنة النهائية :

- "كونوا حاضرين ، أظهروا مهاراتكم ، فقد تجذبون نظر أحد . وكان هذا هو لب الرسالة .وكان واحد أو اثنان من زملائها قد حصلا على عمل بالفعل . واحد يعمل مع فرقة مسرحية من فرق الأقاليم ، والثاني في شركة تليفزيون جنوب لندن . وكانت " تيفاني " نفسها تبحث عن شيء من هذا القبيل . ولم يكن الباليه يروق لها ولكن العمل هو العمل. وسرعان ما سيكونون جميعا ، وشهاداتهم في أيديهم ، ونماذج أعمالهم تحت أباطهم ، يدورون في الاستوديوهات بحثاً عن عمل ذي مستقبل مرموق .

وتوقفت وقوفا فجائيا ، فقد كان الباب المزدوج المؤدي للاستوديو الفسيح ذي السقف المقوس مغلقا . وشبت على إطراف أصابع قدميها، تنظر خلال الفتحة الزجاجية ، فوقع نظرها على أكتاف قوم غرباء . لقد ضيعت على نفسها الفرصة بالفعل . ولاح لها رأس العميد الرمادي لحظة ، ومطت رقبتها لترى أربعة أو خمسة من الزوار بل ثلاثة - صححت لنفسها حين اختفوا وراء ساتر . رجلان وسيدة . أما الاثنان الآخران فكانا من المعهد . وانتظرت إلى أن أصبحت في مأمن من نظراتهم ، ثم أخذت تتحين فرصتها . فضغطت الباب المزدوج بأقصى درجات الحرص ، وانسلت داخلة . يمكنها أن تصل لمكانها بالتحرك ببطء خلال الممر الأوسط ، بدون أن تزعج أحدا .

وكان "رافي" يحتل الركن المجاور للباب مباشرة . ويبدو أن عمله قد نظر له بالفعل ، إذ كان يبدو مبتسما . وغمغم حين رآها :

- " دائما مشاغبة " ونظر مزهوا للساعة المعلقة على الحائط . كان الصمت مخيما على جميع الطلبة بصورة غريبة ، وهم منكبون على لوحاتهم . وهمست له :

- " صه يا "رافي" . هل أوشكوا على الانتهاء ؟ " .

- " لقد وصلوا لتوهم ، ويتحركون ببطء شديد " .

وابتسمت في ارتياح :

- " يا لحظي الحسن ! " وبدأت تشق طريقها في الممر خلف الزوار .

ربما لأنها كانت مشغولة الذهن لجلب أنظارهم ، لم تنتبه جيدا لطريقها وهي تنحرف حول منضدة "رافي" فاشتبك كم معطفها الصوفي الواسع بحرف صينية تحمل أحبار الرسم ، فاندفعت لتمسك بها ، لتنزلق مصطدمة بالمنضدة ، فتقلبها بما عليها من الوان وأحبار، وتتمدد هي بجوارها بطول جسدها أمام الجميع .

وصاحت وهي تهوي متطايراً ذيل تنورتها ، مع شعرها الطويل :

- " اللعنه ! " ثم ساد بعد ذلك صمت رهيب .

وقف "رافي" مشدوها كالتمثال ، لا ينظر إليها . ولا للفوضى إلى جوارها ، بل عبرها إلى الناحية الأخرى من الغرفة . وتململت ببطء في مكانها ، ثم بدأت ترفع بصرها . كان الفريق باكمله : العميد، ورئيس القسم ، والمدرس ، والضيوف الثلاثة قد ظهروا من وراء الساتر ، ينظرون إليها في استغراب . وجالت في الوجوه المالوفة لها ، فوجدت ملامحهم قد علتها امارات الصدمة ، فدارت ببصرها بحثا عن نظرة إشفاق ، ولكن الضيوف الثلاثة لم يكونوا اقل فزعا .

ولم يتحرك من الجمع إلا السيدة ، إذ رفعت يدا رائعة الجمال إلى فمها المتوهج بالحمرة والمتشكل على شكل دائرة صغيرة . وبعدها تقدم رفيقها ، رجل قصير الجسم ، ممشط شعره للوراء ، ومد يده لها قائلا :

- " يا له من دخول " . ولكن نظرها كان معلقا لحظتها برجل يقف خلفه مباشرة.

كان يبدو وقد عزل نفسه عن كل ما يجري .. طويل القامة ، متين البنيان ، متشحا من رأسه لقدميه بالسواد . كانت عيناه تفيضان بالضيق وهو يحملق إلى الفتاة الممدة شعثاء المنظر تحت قدميه .

كان منظره مالوفا بصورة كبيرة . ليس وسيما بالمرة بالمعنى المألوف .

ولكن به شيء اكثر من جمال الملامح . جاذبية تشد الأعين رغما عنها. كان ذا ملامح سلوفاكية ، بارزاً عظام الوجنتين ، له أنف

مستقيم ذو أرنبة متوهجة، ينبئ عن نقاء الأصل . وتعطي دقته إحساسا بالزهو والذكاء معا . وفم مستقيم تقلصت شفتاه في تأفف لمنظرها وهي على الأرض . كان يبدو غير إنجليزي تماما .

أدركت ذلك على الفور من تشكيلة عظامه ، وعينيه الداكنتين الحزينتين . كان يوحي بانه من أوروبا الشرقية . ربما من المجر ، أو ربما يكون أحد فرسان القوقاز . كانت عيناه ، كبحيرتين داكنتين مع قسوة الصلب في أعماقهما. مركزتين عليها بصورة تبعث بقشعريرة الشعور بالإذلال في بدنها . قرأت فيهما انها في منتهى الغباء ، انها فوضوية لا تصلح لشيء ، انها كارثة .

وكأنما أراد أن يؤكد هذا الإحساس ، فرفع رأسه قليلا ، والتفت عنها . وكانت صفحة وجهه الجانبية مثالا للكمال ، بصورة اثارت الدموع في عينيها . وفجأة تذكرت أين رأت هذا الوجه من قبل . في كل مجلة قلبت صفحاتها العام الماضي . كان مثيرا للغاية أن تراه بشحمه ولحمه ، أشد إثارة من صورته على لوحات الإعلانات .

وتنبهت فجأة لليد الممدودة لها من الرجل الوسيم الذي كان لا يزال منحنيا لها .

فهبت على قدميها ، تبعثر ألفاظ الاعتذار وهي تسوي تنورتها ، وتزيح شعرها للوراء ، وتلتقط صينية الوان "رافي" ، كل هذا في وقت واحد .

واتجهت بوجهها المحمر للعميد قائلة :

- " إني آسفة ، " مدركة مدى ما سيكون عليه من حنق بسبب حادثة كهذه أمام ضيوف بهذه الأهمية . ثم استدارت لـ "رافي" قائلة :

- لم أحطم شيئا على ما أظن " وكان وجهها لا يزال محتقنا .

- " فقط منظرك. ولكن لا تنزعجي يا صغيرتي على الأقل لقد جذبت نظره" وغمز لها "رافي" بعينه ، ثم انحنى يلتقط القطع المتناثرة .

والتفتت للضيوف ، ولكن العميد أومأ برأسه ، ثم اتجه ليقود ضيوفه في جولتهم . وهمست لـ "رافي" لا لشيء إلا لتخفي خجلها :

- "دعني أساعدك في ترتيب كل ذلك"

- "لا عليك ، لقد رأوا مشروعي بالفعل . ولم يتحطم شيء على اية حال فاسرعي إلى مكانك ، إنهم على وشك ان يصلوا هناك" .

وهمست وهي تحملق إلى الاستوديو :

"رباه ، لا اعتقد انه باستطاعتي مواجهتهم مرة أخرى" .

ودفعها "رافي" في الاتجاه المطلوب :

- "مغفلة ! .. هيا ، اسرعي" . وهزت رأسها تجاه الزوار ، كارهة ان تتحرك:

- "إنه "هارلم بارنسكي" ، اليس كذلك ؟" .

وكسا وجه "رافي" مسحة من الجد فجاة :

- "نعم ، إنه هو" .

- "وماذا قال لك ؟" .

- "لم ينبس بكلمة" وبدا وكان نمرا قد افترسه ، ثم عاد ليهز كتفيه بطريقته المالوفة :

- "ليس ما يناسبني على اية حال . فانا أحب الحياة الهادئة" .

وبدأت "تيفاني" تتحرك بكل حرص إلى مكان عملها ، ووجهها لا يزال متوردا من الخجل .

وكانت المجموعة لا تزال لدى الفتاة المجاورة لها . على الاقل كان الرجل ذو الشعر الأصفر الذي ساعدها هو الذي يدير الحديث ، وإن كان من المتعسر سماع ما يدور . كان صوته يعلو ويهبط ، وحين كان يتوقف ، كانت موجة من الضحك تنتشر بين المحيطين . وقالت "سوزي" شيئا ما ، ثم بادرها الرجل بسؤال من نوع ما .

وكانت "تيفاني" قد حدست من هو . إنه مصمم مناظر . "بارنسكي" ، احد اشهر مصممي المناظر في البلاد . وكان يؤكد الاقاويل ، إذ كان من الواضح انه يبحث عن متدرب يعمل لديه . ولكن ، لماذا كان "بارنسكي" بنفسه موجودا؟ أتراه يهتم بالأعمال اليومية للفرقة لدرجة ان يشغل نفسه بمسالة توظيف عمالة على هذا المستوى البسيط ؟ .

وانكبت على عملها ، باذلة أقصى جهدها لإعادة ترتيب ما أمامها من موديلات.

إن هذا الأسبوع الأخير من الفصل الدراسي يُعتصر فيه حصيلة تحصيل ثلاثة أعوام من الدراسة الشاقة . وكان لديها ستة مشروعات ، متدرجة من مجموعة تصميمات لمسرحيات ، إلى مسلسل تليفزيوني ، ثم بعض الأعمال التجريبية التي كانت "تيفاني" متحمسة لها بكل جوارحها ، ولكنها الآن تعض شفتها .

كانت ترى أن هذا أقصى طاقتها ، ولكنها لم تكن تعلم تقييم محترف متخصص مثل "فرانك شور" لأعمالها . ومسحت جسدها بيديها في عصبية ، تعيد إدخال بلوزتها في حزامها المحيط بخصرها الملفوف ، وتعيد إحكام الأزرار التي من عادتها أن تنفك على صدرها الناهد ، تحاول أن تبدو ذات كفاءة باقصى ما تستطيع . وقد قيل لها ذات يوم إنها تشبه "إليزابيث تايلور" ، بشعرها المجعد اللامع ، وعينيها البنفسجيتين . وكانت ترد على ذلك مازحة :

- "بعد عملية تجميل على ما أظن" . ولكنها الآن كانت تود لو تبدو مقبولة المنظر ، بتنورتها المنقطة بالوان مختلطة ، ومعطفها الصوفي . ولكن ، طافت بذهنها فكرة حزينة ، ليس لها أن تفكر في ذلك الأمر الآن، بعد وقوعها على هذا النحو ، ورؤية الجميع لجوربها الممزق ، ويعلم الله ماذا أيضا .

وحركت رأسها بعصبية والأصوات تزداد ارتفاعا حولها ، ثم كان الجمع محيطا بما تعرضه . وصوت العميد يعلن بطريقة مسرحية :

"تيفاني ملجروف" . وكانت طريقته توحي بانه من الأفضل أن ينتقلوا سريعا لشخص آخر قبل أن تسبب كارثة أخرى . ولكن منقذها الأشقر أخذ خطوة للأمام ، ساحرا إياها بابتسامة عذبة .

وابتسم في عطف لها ، وعيناه في مستوى عينيها ، وقال :

-"نعم لقد تقابلنا بالفعل . إنك لم تصابي بأذى هناك، أليس كذلك ؟" وكان صوته يحمل الود وهو يسالها .

ولم تتمالك نفسها أن تجيب مبتسمة :

- " الصدمة أكثر من أي شيء " . كان لطيف المحيا ، ليس في عجرفة من يكونون في شهرته .

- " هذه " مارجريت تشابمان " ، محاسبة ، ويدي اليمنى " ثم وجه لها ابتسامة أخرى وبدا في عينيه العسليتين الرضا عما يشاهده ، وإن اختلط الأمرعلى "تيفاني" : هل نظرته موجهة لعملها ، أم لمنظرها غير المهندم ؟ وأخذت تجيبه في توتر وهي لا تزال محمرة الوجه ، تحاول أن تكون إجابتها بأكبر قدر من الاكتمال والتركيز .

ولم يكن قد قدم "هارلم بارنسكي" وتساءلت إذا كان دائما يتخذ هذا الموقف المتباعد . وكان كل شيء أقل منه مرتبة . كان الموقف يبدو كان "فرانك شور" واجهة امامية ، أما القرار الحقيقي فيصدر في الخلوة من تحت عباءة "بارنسكي" السوداء . لم يكن يوجه أي أسئلة ، ولم يكن لوجوده أي تفسير ، ولم يحظ عملها منه سوى بنظرة عابرة ، إذ مرت عيناه اللامعتان على قطع الموديلات الصغيرة المعروضة والتي أخذت منها ساعات من الجهد والعرق ، بسرعة خاطفة مهينة .

أما "فرانك شور" فقد كان ينظر لكل شيء بإمعان ، متنقلا من موديلاتها إلى لوحات رسمها ، ويمطرها بالأسئلة ، ويقف طويلا متاملا الرسوم التخطيطية المعلقة على الحائط وراءها . وحين التفت إليها ، كانت عيناه الودودان تحملان أكثر من مجرد الأدب ، ثم مد يده وصافحها شاكرا ومجاملا ، ثم استدار لصحبته قائلا :

- " هيا بنا " .

وكان على رأس الجميع عدا " بارنسكي " الذي تقدمهم لحظة ، ثم توقف ليستدير ويلقي على " تيفاني " نظرة متفحصة غير متوقعة ، كانت أشبه بتسليط ضوء غاية في التركيز عليها . وجالت عيناه في صفحة وجهها ، متفحصا كل تفصيل من تفصيلاته ، مسجلا في ذهنه كل شاردة ، من شريط شعرها المخملي غير المربوط بعناية ، إلى ظلال الجفون - إذ تأكدت من السخرية التي بدت في نظرته أنها لطخت

به جفونها - إلى التورد الذي لم تكن قد استطاعت التغلب عليه بعد . واحتبست أنفاسها لنظرته المتعجرفة وانتابتها رغبة أن تمديها لتتاكد من إحكام أزرار بلوزتها .

وشعرت كأن نظراته تقتحم القماش القطني الأبيض لتصل إلى ما تحته ، تشبه في تمهلها العسل المنسكب وهو يسيل في هدوء ، لتمسح تفاصيل جسدها إلى أن تصل إلى قدميها المختبئتين في حذاء أنيق .

ثم عادت النظرات المتفحصة الداكنة تنتقل من جديد ، تتحرك في تكاسل على المخططات المعلقة وراءها ، ثم إلى النماذج المسرحية المعروضة ، التي أودعتها نفسها وحياتها . بدون أي رد فعل ملحوظ منه . وأخيرا ، وبدون أن ينبس ببنت شفة ، رفع رأسه قليلا ، واستدار مادا يده للساتر ، متكئا عليه وهو يمضي للحاق بالآخرين .

وكان عقلها في هياج يعجزه عن الفهم . ولاحظت "تيفاني" أنه يعرج وهو يبتعد عنها ، فلم تشعر تجاهه بأي شفقة لشدة ما تشعر به من حنق لهذا الفحص الصامت منه .

وفهمت لماذا بدا "رافي" المسكين وكأنه قد افترس بواسطة نمر حينما دخلت أول مرة .

بالتأكيد كلهم بالنسبه له ليسوا إلا مجرد طلبة . ولكن ، أيعني هذا أن يظهر ما يكنه لهم من احتقار بهذا الوضوح المنافي للذوق ؟ بعضهم سيكون له اسمه في المستقبل ، حين تتاح لهم الفرصة . وسرت رعدة في بدنها ، وبدت منطقة عملها شاسعة بعد أن اختفى منها هيكله الأسود .

وبينما عاد الجمع يتحرك فيما اعتبرته "تيفاني" محفل "بارنسكي" المهيب ، عادت هي لترتب في ذهنها خطة الأسبوع القادم . لقد رتب لها بالفعل مقابلة أو مقابلتين ، رغم أنه لم يبد في الأفق بعد أي شيء مثير . وتساءلت عن المدة التي ستقضيها بين مغادرتها للكلية ، وبين عثورهاعلى عمل مناسب .

وما إن اغلقت الأبواب خلف "بارنسكي" وصحبه بعد نصف ساعة ، حتى انهمك كل من في الاستوديو في احاديث متقطعة الأنفاس . لقد بدا واضحا أن " فرانك شور " يبحث عن متدرب لمرسمه .

وصاحت في الجمع متسائلة عما عساه أن يكون سبب مقدم ذلك الوغد المتعجرف ، يتسكع بهذه الصورة ؟ ! .

- "هارلم بارنسكي" وكانت "سوزي" هي التي اجابتها وهي تتظاهر بمسح حاجبيها :

- " يا له من وجبة شهية . إنني لم استطع تحويل عيني عنه " .

وسالتها "تيفاني" :

- "هل تحدث معك" ؟ .

ودارت "سوزي" بعينيها في الجمع :

- " هل تكلم مع أي إنسان ؟ " وكانوا جميعا قد تجمعوا حول الموقد المعدني في وسط المرسم . وهز كل واحد كتفيه . وقالت " تيفاني " عابسة :

- " إننا على الأرجح اقل شانا من الديدان . لم يحدث أن شعرت بمثل هذه المهانة لمجرد نظرة كما حدث لي اليوم " . وعاد بدنها يقشعر : " حمدا لله أن لن اصادفه مرة أخرى " . وفركت يدها شاعرة ببرودة مفاجئة : " ما زلت لا اتصور لماذا جشم نفسه عناء النظر إلينا . لعل نفسه تاقت لزيارة لحديقة الحيوانات " .

قال "رافي" وهو يضع يده على كتفها :

- " لم تتح لي فرصة لتحذيرك . إنه يؤسس فرقة خاصة به ، مستقلة عن الفرقة القومية ، سوف تكون وليده الجديد ، وستكون مجالا خصبا للمواهب غير المكتشفة ، وبخاصة من الشباب " .

ورمقته "تيفاني" بنظرة شك :

- " قول من هذا ؟ " .

قال شخص ملتح بجوارها :

- " ويلي ونكا " ، سكرتير العميد . لقد اعلن بنفسه هذا قبيل

وصول "هارلم بارنسكي" . سوف يكون عملا يصنع الأسماء . أفضل الراقصين ، افضل الموسيقيين ، افضل الفنانين ، مع مصممي الأزياء ، وواضعي الألحان . منح ينفق عليها بسخاء . تركيز على الإثارة ، والتجربة . وكل ما يحدث دويا " .

- " يبدو أن " بارنسكي " يريد أن يجد من يبدأ من حيث انتهى هو " .

وساد المكان همهمة من الرضا والسرور ، تلاه صمت لفترة قصيرة .

وشعرت "تيفاني" بوخزة من الأسف . لقد كان "هارلم بارنسكي" واحدا من أولئك الذين شقوا طريقهم للمجد كالشهاب ، حتى كانت حادثته المأساوية التي سببت له العجز وأنهت مستقبله المشرق كراقص لامع . فاحتجب عن الجمهور لفترة . وراحت تتذكر الصفحات الأولى للصحف ، حيث قصة صراعه من أجل الحياة تمثل العناوين الرئيسية على مدى أسبوع كامل . ثم بدأ يتماثل للشفاء ، ولكن مستقبله كان قد انتهى ، فلن يعود للرقص مرة أخرى . وبعد هذا بقليل ، بدأ عرض الفيلم الذي كان له في " هوليوود " قبيل حادثته ، ورأى العالم أجمع، وليس عالم الرقص وحده ، اية موهبة قد فقدها . واختفى بعد ذلك ، إلى أن ظهر أخيرا حين اعطي منصبا شرفيا في فرقة الباليه القومية .

إلا أنه سرعان ما وطد قدميه كمدير للرقص ، وبدأت شهرته تلمع من جديد، فقد جذب للمسرح أناسا لم تطأ أقدامهم مسرح باليه من قبل . وبدأ اسمه يظهر في أعمدة الصحف ، وبدا أنه بدأ الانطلاق من حيث توقف .

ولم يكن حظه من الأقاويل والشائعات قليلا ، والتي تهافتت الصحف على جعلها مادة لها . ورأت في ملامحه الطاغية ما يفسر لها ذلك . فكثير من ملكات الجمال ركعن تحت قدميه . وها هي قد رأته راي العين ، وأدركت صعوبة أن يظل بعيدا عن الأخبار ، حتى ولو كان قد حرم من مجال شهرته الرئيسي . إن به شيئا غامضا يوحي بالقوة والسيطرة ، سواء شاءت هي أم أبت .

وصاحت فجاة وهي تهز شعرها ، ثم تتخلص اخيرا من شريط الشعر الذي لا فائدة له : " ولكنه وغد متعجرف . لكم اشفق على العفريت المسكين الذي ستكون الوظيفة من حظه " ثم القت براسها للوراء :

- " ولكن مساعده غاية في الرقة ، لكم اتوق ان اعمل معه . فلولا "بارنسكي" هذا ، لكان من اشد الأمور متعة العمل في شركة جديدة " .

وبعد الغداء بقليل، بعث العميد بمن يستدعي "تيفاني" لمكتبه . وغمغمت وهي تحاول ان تهندم نفسها : " ها قد وقع المحظور . سوف يتلو عليّ قانون الخروج على النظام ، وكيف اني اهنت اسم المعهد وجللت رؤوس من فيه بالعار . اتظنون انه لم يتعود ذلك مني إلى الآن؟".

- " لقد كانت النكتة السائدة هي ان اي اضطراب يحدث ، سيكون سببه "تيفاني ملجروف" . لقد كان الأمر معها هكذا ، حتى من ايام المدرسة . وكان امرا مالوفا لها ان تبدع اروع التصميمات ، بينما الجو حولها يموج بما يقع وما يتهشم .

وكانت امها اقوى المدافعين عنها ، تدفع عن ابنتها، جالبة الحوادث - بكل قوتها - ما يوجه لها من انتقادات : " إنها كبرى بنتيّ . واختها " فاي " غاية في الرقة والنظام ، ومن ثم فإن اسلوب " تيفاني " هو رد فعل لذلك " . كانت امها هاوية لقراءة علم النفس ، وعلم التنجيم . وكانت "تيفاني" تجد في ذلك بعض العزاء ، ولكنها ، وهي متجهة لمكتب العميد ، كانت تشك في ان يبدي لها اي قدر من التعاطف .

- " آه .. انسة "ملجروف" .. "تيفاني" . ثم بدا يتنحنح .

وقالت "تيفاني" متنهدة لنفسها : " إن القدر واقع حالا " .

وقلب بعض الأوراق أمامه ، ثم رفع عينيه فيها تحت حاجبيه الكثين:

- "يبدو ان علي ان اقدم لك التهنئة ." واستطرد وهي تعبس دهشة : " لقد اعجب " فرانك شور " بعملك . ويريد أن يراك في مقابلة رسمية لوظيفة مصممة في فرقة " هارلم بارنسكي "الجديدة" .

ونزل الخبر عليها كالصاعقة :

- " انا .. ولكن .؟ " .

- " يبدوان ذلك الـ .. الدخول غير التقليدي لك قد وقع من نفسه موقعا حسنا"

"وانفجر بالضحك حتى راح عنه مظهره الجاد للحظات . ثم اكمل :" لا اعتقد انه من الضروري ان اذكرك بانك لوحصلت على هذه الوظيفة ، فسوف تكون زهرة حقيقية على قبعتك " .

- " إذا ما حصلت عليها ؟ اتقصد ... " .

* * *

- " بالتاكيد هناك قائمة للاختيار . اعتقد انه قد مسح مع "بارنسكي" كل المعهد من أجل انتقاء الشخص المناسب . "

- " وهم يعتقدون انني قد اكون مناسبة لهم " . كانت "تيفاني" تطبق بيديها على سماعة التليفون حتى انت يداها الما . وكان كل من ابيها وامها على الطرف الآخر من الخط . فكانت تكرر ما تقوله مرتين . وحين ستطلب اختها "فاي" في "مانشستر" ، سوف تكون تلك هي المرة الثالثة. وستكون الرابعة لـ"جيني" حين تحضر . وعندئذ ربما ، فقط ربما ، تكون قد بدأت تصدق نفسها:

- " يا له من حظ ، أليس كذلك ؟ رغم انني بالتاكيد لن احصل على الوظيفة . اقصد اني لا اعرف المبادئ الأولية للباليه . ولكنه امر يثير الزهو ان اكون ضمن قائمة الاختيار . سوف تملأ نفسي بالثقة وانا امر على الاستوديوهات الأسبوع القادم يا أمي .. اقصد يا ابي -"وكان والدها قد تناول السماعة . - " إن والدتك تقول شيئا عن الملابس . هل معنى هذا انك تريدين شيئا متميزا من أجل المقابلة ؟ " وتنهد بطريقة مسرحية "يبدو انه علي أن ارسل لك شيئا بالبريد الليلة ، أليس كذلك ؟ يالحظ من له البنات ! حسنا ، ساعطي السماعة لوالدتك " . وقبل أن تتاح فرصة شكره ، كانت امها قد تناولت السماعة :

- " حاولي ان تكوني مرتبة ارجوك يا عزيزتي . قد ابدو ملحة اكثر

من اللازم، ولكن من الضروري أن تنتبهي جيدا لتصرفاتك . فبعدما حدث اليوم معك، لا يوجد مجال للمزيد من الأخطاء ."

وراحت " تيفاني " في تفكير عميق : "إن أمي على حق ، وسوف التزم الحرص من الآن فصاعدا" . ولمعت صورة "هارلم بارنسكي" في ذهنها فجاة . وتراجعت عما قالته في الصباح . فليس لها أن ترفض وظيفة مشرفة كالتي أمامها لمجرد أنها لم تعجبها نظراته لها . وإذا ما توخت الحرص ، فلن تجد عيناه الداكنتان فرصة لأن تقتحماها ناقدتين كما فعلتا . كل ما عليها هو أن تبهره بأناقتها ، وحيويتها ، وكفاءتها في العمل ، وسوف يأخذها عندئذ مأخذ الجد . وسوف تتغير إلى صورة فتاة جادة حريصة ، فتمحى من ذاكرته صورة الفتاة المندفعة جالبة الحوادث التي قابلها أول مرة .

الفصل الثاني

أخذت "تيفاني" تتجول في الصباح التالي ، وقد رقد الشيك الذي وصل لتوه من أبيها في حافظتها، وانتهى اختيارها إلى شيء متميز أخذ بلبها . وأعلنت حين عادت للغداء لكل من " جيني " و " بات " :

- " الجلد الأسود ! لقد ساورني الشعور طوال رحلة العودة بأنني ارتكبت غلطة فظيعة . ولكنه على الأقل ليس كالتنورة الرقيقة والبلوزة التي رأني فيها أول مرة" .

" ورمقتها "جيني " بنظرة سائلة :

- " من تعنين ؟ "فرانك شور" ؟ .

- " بالتاكيد أعني " فرانك شور " ، من غيره ؟ " وتحاشت نظراتها . ولم تحاول أن توضح لماذا يعنيها أن يراها " فرانك شور " في شيء مختلف ، وأخرجت الحلة من كيسها قائلة :

- " ما رايكما ! " .

- " جربيها ! " واعتمدت " بات" على عقبيها وهي تنظر لـ "تيفاني"

التي أخذت تدخل نفسها في البنطلون . كان من جلد رقيق وافقها كجلد ثان لجسمها . وتمتمت "جيني" وهي تقوّم تاثيره :

- " نا ا ا عيم .. والآن ، السترة " .

واحست "تيفاني" بالرداء الجلدي يداعب جسدها برقته الفائقة ، فتملكتها النشوة ، وقالت :

- " لكم تعجبني ، واشعر فيها بمنتهى الثقة بالنفس " .

قالت " بات " :

- " لقد كنت اظن بك هذا دائما . إن ما تثيرينه من فوضى يرجع اساسا لعصبيتك وبعض عاداتك . إنك لست كارثة كما تبدين دائما " .

قالت " تيفاني " باسى :

- " كان يجب أن تشاهدا كيف دخلت عليهم صباح امس . لم أشعر في حياتي بالحماقة كما شعرت وقتها . ولقد ظن بي "هارلم بارنسكي" انني مصيبة من المصائب ! . وطمانتها "جيني" قائلة " :

- " سوف ينسى كل ذلك حين يراك في هذا الزي . إنه رائع ، ويعطيك المظهر المناسب تماما للوظيفة المنشودة معه . "

وقطبت "تيفاني" جبينها :

- " اتمنى الا تعلقي امنيتك على "بارنسكي" فمصدر ارتياحي أن العمل مع "فرانك شور" ، وسوف أتعلم الكثير من العمل في مرسمه " .

وقالت "جيني" معترفة : على غير توقع :

- " لقد كان "بارنسكي" هو من يدفع بقلبي للخفقان منذ أن غادر روسيا وجاء ليرقص مع فرقة الباليه القومية . كنت في الثانية عشرة وقتها . وكان بالنسبة لي أكبر تجربة مسرحية . ولو كنت اعلم انه سيزور الكلية امس ، لما فاتني أن اذهب معك لألقي عليه نظرة . لا تصل الأخبار للإنسان إلا بعد فوات الأوان " .

واخذت "تيفاني" تؤنبها على هذا التعلق بـ "هارلم بارنسكي" ،

ولكنها في أعماقها لم تكن لتنكر انه كان في ذهنها وهي تختار اللون الأسود . لقد بدا نمطيا ولكن في اناقة ، في مظهره المتدفق بالرجولة ، والمغرق في غرابته كاجنبي ، في حلته السوداء وقميصه الروسي الأسود . ولم يكن من العجيب أن تخر النساء تحت قدميه ، ويتدافع الرجال ليكونوا في معيته . ولم تستطع هي أن تقاوم الرغبة في تقليد طرازه بلمسة انثوية من ناحيتها .

واخذت تنظر لنفسها في مرآة "بات" الطويلة ، ولم تستطع أن تخفي اكتئابها . - " لابد أن الغرور قد اعتراني . لقد اعتقدت انه حين اشتري شيئا رشيقا سابدو رشيقة بالفعل . ولكني لست إلا فتاة قصيرة سمينة ترتدي ثيابا رشيقة . ليس لي مهرب من هذا " .

وصاحت بها "جيني" :

- " إن مقاسك هو اثنا عشر فقط ، فما الذي يقلقك ؟" .

قالت :

- " ربما كان طولي مناسبا لوزني ، ولكن هنا .. " واشارت لصدرها " ثم ربما هنا .. " ومسحت على ردفها " ولكن حتى أنت يا "جيني" ، على الرغم من إخلاصك لي ، لا يمكن أن تصفيني بالرشاقة " .

وضحكت "جيني" :

- " أهذا ما تقصدين ؟ حسنا . لست برشيقة ، ولكني أصدقك القول، إنك حسنة المظهر . إن الرجال يميلون للمرأة الممتلئة" ، واخذت تجيل فيها النظر .

- " نعم ، اعلم هذا تماما ، إنهم يميلون لقوامك . "

ولكن " تيفاني " رفضت أن تقتنع :

- "إنك لا تفهمين يا "جيني" ، إن عملي سيكون مع الراقصين والراقصات ، والذين يملكون قواما كالشعرة . فكيف سابدو بجوارهم؟".

واندفعت "بات" قائلة :

- " إنهم ليسوا أصحاب رشاقة ، بل نحافة ، ثم إنك لست براقصة ، وغير مطلوب منك بالتالي أن تكوني مثلهم . إنك مطلوبة لموهبتك كمصممة ، وليس لمظهرك . " .

قالت "جيني" وهي تبتسم في تخابث :

" - "بات" ، إنك في الغالب قد فاتتك نقطة جوهرية لقد تصادف أن تكون مجنونة بـ "هارلم بارنسكي . "

وعبست "تيفاني" وهي تحدث صورتها في المرآة :

" - هذا حق . لقد أخذني الهيام بنظرة احتقاره لي ، وأصبحت مجنونة بإذلاله لي أمام الجميع . ويدور رأسي سعادة بفكرته عني كحمقاء لا يحق لها أن تعيش معه على نفس الكوكب " ثم استدارت لهما :

- " سوف أقول لكما شيئا واحدا، لو حدث وصادفته ، ونظر لي بهذا الشكل مرة أخرى فسوف أتصرف معه تصرفا يأسف له كلانا . لقد جعلني عن عمد أشعر بأني قصيرة ، بدينة ، غبية . إن هذا الرجل وحش مخيف "

وضحكت "جيني" :

- " أعتقد أنه يجب أن تكون له نقيصة من النقائص . فكل إنسان يوهب موهبة خلاقة مثله ، لا يعدو في حياته الطبيعية أن يكون وغدا من الأوغاد. " ثم تثاءبت في لامبالاة ، وقالت :

- " أتريدان شيئا من القهوة . "

وبعد أن انصرفت "جيني" للمطبخ ، أخذت "بات" تساعد "تيفاني" في عمل تصفيفة مبتكرة لشعرها تليق بأناقة حلتها . وسألتها :

- " متى ستكون المقابلة ؟ " .

قالت "تيفاني" وهي تنظر في ساعة يدها :

- " الثالثة والنصف في المسرح . لا يزال الوقت مبكرا ، ولكني سوف أستعد من الآن ، فأنت تعرفينني ، دائما أتعطل في المواصلات . وأصل بعد انصراف الجميع . "

ولعب الحظ دورا مضادا معها هذه المرة ، فوصلت مبكرة عن موعدها بأربعين دقيقة . فقد وصل المترو في موعده بالضبط ، ولم يتعطل لحظة ، وأصبحت مشكلتها أن تجد مكانا تنتظر فيه .

وبعد أن أخذت تحوم حول باب المسرح لخمس دقائق ، تساءلت : هل تغامر بأن تتوه وسط شوارع الحي الشرقي من المدينة بحثا عن مكان قريب تأخذ فيه قدحا من القهوة ؟ ! .

ثم بدأ هطول المطر ، وهتفت داخلها : " اللعنة ! سوف تفسد تسريحة شعري لو ظللت واقفة هنا . " وهرعت صاعدة السلم إلى بوابة المسرح ، حيث وقفها رجل خلف حاجز زجاجي .

وحين أخبرته أن لديها مقابلة مع " فرانك شور " ، هز رأسه وراجع قائمة أمامه . وقالت معتذرة :

- " أعلم أنني مبكرة . هل يوجد مكان أنتظر فيه ؟ " .

- " اتجهي يا عزيزتي للقاعة الخضراء ، فلن يكون بها أحد مادام لا يوجد عرض الآن ، وستأخذين هناك راحتك . اعبري خشبة المسرح ، أول باب في الممشى بعدها . " واتبعت إرشاداته وقلبها يخفق بالتوقع ، متجهة للباب الذي ذكره لها . كان المكان معتما ، لا ينفذ إليه الضوء إلا من خلال عدة ستائر ، وبدا المكان كمخزن للأثاث .

وبدأت تعبر خشبة المسرح وراء المناظر، ولكنها لم تستطع مقاومة إغراء أن تنظر إليها . فانسلت خلال فرجة بين لوحاتها المسطحة ، وأدركت أنها تشاهد مناظر العرض الأخير . وكانت اللوحات مغطاة بأغطية واقية من الغبار ، وأخذت هي تحاول أن تأخذ فكرة عن حجم العرض ، وعما عساه يكون تحت تلك الأغطية .

لو كان الحظ حليفها ، فسوف يكون عملها مع لوحات بالحجم الطبيعي كهذه، بدلا من النماذج المصغرة . وحملقت حولها وقد اتقدت جوانحها بإثارة مفاجئة وهي تتخيل العرض الحقيقي .. بل كانت تتخيل الجمهور وهو يهمهم منفعلا ، وإجهاد مقدم الافتتاحية . والضحكات العصبية للراقصين قبل دخولهم العرض . ولأول مرة

تحس بمدى رغبتها في تلك الوظيفة إنها تريد تلك الوظيفة لذاتها ، لما تعطيها لها من فرصة أن تخرج مكنون مشاعرها وأفكارها التي تفور داخلها .

وتحركت حول خشبة المسرح في نشوة مفاجئة من السعادة ، تتفحص كيف ركبت المناظر بعضها مع بعض في مشهد واحد ، وبدأت تتعلم كيف تكون تصميمات "فرانك شور" في التطبيق العملي ، وفجأة ، وقبل أن تتمكن من متابعة فضولها ، سمعت أصواتا قادمة من خلفها ، تقترب منها بسرعة . وتجمدت أوصالها . ماذا عساها أن تقول لو ضبطت تتجول بين المناظر هكذا ؟ إنها ليس لها الحق أن توجد في هذا المكان .

وتسللت خلف المناظر في صمت ، عازمة أن تشق طريقها إلى الغرفة الخضراء كما وصف لها رجل البوابة ، ولكن شيئا في الأصوات جعلها تتوقف . لقد التقطت أذناها صوتا غاضبا ملأ قلبها بالخوف ، فتوقفت مذعورة وراء أحد المناظر المغطاة .

ورد صوت ثان ، هادئ ورزين ، على الصوت الأول :

- " إنها ستقوم بالعمل بصورة طيبة . ولو حدث ولم تفعل ، فيمكننا دائما استبدالها ، ماذا سوف نخسر ؟ " كان الصوت لـ "فرانك شور" .

وحاولت "تيفاني" أن تقترب من الأصوات حتى تلتقطها بصورة أفضل ، بدون أن يكتشف أمرها . ولكن الصوت الأول الذي لم تتعرف على صاحبه دوى عاليا بكلمات جعلها تتجمد في مكانها .

- " إنني على حق ، أنت تعلم ذلك . إنها مبتدئة ، لا يزكيها سوى شيء واحد" ودوت ضحكة خشنة ، " هل أتركك تورط نفسك في أمر قد يعرض الشركة للخطر ؟ إنك تضيع الإمكانات ... فليس لديك وقت لواحدة غير ذات كفاءة من الدرجة الثالثة مثل "تيفاني ملجروف" ، لست أدري أي حماقة تملكتك ! إنها ليست على قسط من الجمال يبرر تعريض المشروع للخطر من أجلها . اعترف بذلك . إنها بدينة ، وليست

من النوع الذي يطيب لك ، ولايطيب لي أيضا . إنه تضييع لوقت الجميع " .

ولم ترد "تيفاني" أن تسمع المزيد . فاندفعت كما لو كانت قد نبتت لها أجنحة فجأة ، تركض بأسرع ما يمكنها إلى نهاية المسرح . وكان الفضل لسجادة سميكة أن امتصت صوت كعب حذائها ، وأخيرا ارتمت على الباب المعنون بالقاعة الخضراء ، ثم أغلقته وراءها وهي تشهق .

لم يكن هناك شك بشأن الصوت الثاني ، فاللكنة الروسية لا تخطئها الأذن . ومن جهة أخرى من غيره يملك أن يحدث "فرانك شور" العظيم بهذا الأسلوب ؟ ! وارتمت "تيفاني" على أحد الكراسي وهي تحتضن نماذج أعمالها ، لا تكاد ترى شيئا مما يحيط بها . ماذا سوف تفعل ؟ لقد قطعت كل ذلك الطريق بدون طائل. فهل تعود أدراجها ، آخذة معها النماذج الثمينة لعملها لتخوض بها التجربة في مكان آخر ، أم تذهب إلى مقابلة هزلية وهي عالمة أن " هارلم بارنسكي " لا يرى فيها إلا .. - وانقبض صدرها - ... " مضيعة للوقت" .

إن فرصة الحصول على العمل هنا قد تلاشت بعد سماعها لتلك الكلمات القاسية .

وتوردت وجنتاها وهي تهتز للأمام والخلف كطفل رضيع ، تحاول جاهدة أن تمسك دموعها . ثم اشتعلت بداخلها روح القتال . كيف يسمح لنفسه بأن يحكم على عملها وهو لم يمنحه إلا نظرة سطحية ؟ ربما كان واحدا من أفضل راقصي العصر ، ولكن ذلك لا يعطيه الحق أن يعرض مستقبلها كله للخطر بحكم متعجل له هكذا . بالتأكيد من حقه أن يقنع " فرانك شور " بعدم توظيفها ، ولكنه لا يملك الحق أن يدمرها وهو يفعل ذلك . وهذا ما ستفعله بها كلماته لو لم تقاوم .

ونهضت واقفة ولكن لم يكن لها مخرج آخر . وشعرت كأنها واقعة في شرك في الغرفة الصغيرة المعتمة ذات النوافذ المغلقة خلف مشرب في ناحية منها ، وكثير من الحُلل ذات الثلاث قطع مصفوفة بلا عناية.

وتبدو بالية المظهر . ولكنها تضم كل آمالها الآن ، وليس لها مكان آخر يحق لها أن تذهب إليه . لقد حدث شيء وهي تسير في الفضاء المكشوف لخشبة المسرح ، أنباها بانها الوظيفة التي يجب عليها أن تكافح للحصول عليها ، مهما كانت ، الفرصة ضئيلة .

وتنبهت لوقع أقدام في الخارج ، فاستدارت لتواجه الباب . وقد توترت منها كل عضلة ، لا تدري كيف ستواجه الدقائق القادمة . لقد استنفد دعم " فرانك شور " لها . وربما يبحث عنها الآن ليقول لها بلا مجاملة إنها تضيع وقتها . وفتح الباب بشدة ، ولكن لم يكن " شور " الوديع الذي يقف لدى الباب ، وجفلت واجبرت نفسها على التراجع خطوة للوراء .

وشعرت - للحظات لا نهاية لها - بعيني "بارنسكي" الممتلئتين بالحزن مسلطتين عليها . ولم تعطها عيناه العميقتان أية فكرة عن رد فعله عن تغير مظهرها. وشدت قوامها ، وهي تضم لوحاتها لصدرها ، استعدادا لتقبل طردها باكبر قدر من الشموخ يمكنها أن تستجمعه .

ولم يبد على وجهه أي تعبير يمكنها أن تفهمه . كان يرتدي قناع رجل محترف. ثم أخيرا ، تكلم :

- "إنك مبكرة يا آنسة "ملجروف" . هل الخفة والنشاط من طباعك ؟".

وكان صوته اشبه بموسيقى غريبة ، ناعماً ، رقيقا ، يضغط المقاطع الخاطئة ، وكانه يتبع "رتما" خاصا عليها أن تتعلمه .

"الخفة والنشاط ؟ ما الذي يتكلم عنه بحق الجحيم ؟" وشدت قوامها، ثم تقدمت ناحيته :

- " لقد استغرقت الرحلة وقتا أقل مما توقعت " كان صوتها مجروحا وهي تحاول كبح المشاعر المتاججة التي فجرها ظهوره المفاجئ .

- " حسنا ، يمكننا إذن أن نبدأ " .

وحملقت إليه في غير فهم :

- " نبدأ ؟ " .

قال بلهجة كما لو كان يتحدث مع طفل متخلف :

- " المقابلة . ألم "تاتي" هنا لهذا السبب ؟ " .

- " ولكني كنت أعتقد ... " ثم خفضت بصرها ، فلم يكن لها أن تقول إنها كانت تتنصت :

- " كنت أعتقد ..." كنت أعتقد أن المقابلة مع السيد "شور" ".

- " من الذي وضع تلك الفكرة في رأسك ؟ إنني أنا الذي سوف استخدمك ، وليس السيد " شور " . ونطق اسمه برسمية ساخرة ، وكانه غير متعود أن ينطقه بهذا الاحترام .

- " ولكني سوف أعمل مع السيد ... في مرسم " فرانك شور " . وكان قلبها يدق بعنف فزعا .

- " من الذي أوحى إليك بهذا ؟ لا يا عزيزتي الآنسة "ملجروف" . إذا ما قررت أنه يمكن تشغيلك ، فسوف يكون عملك بجواري ، في فرقتي الجديدة . لقد انتقاك " فرانك " من بين الآخرين ، وهو بالطبع مهتم للغاية بالتصميمات المتعلقة بفرقتنا الجديدة ... والتي ستكون طفلنا الجديد " . ورغم ماكان في حديثه من وقع غريب على الأذن كاجنبي ، فلم يكن لها أن تلاحظ شيئا من هذا، ودمها تنخفض درجته إلى درجة التجمد .

وإذا كان قد بقي قبس من أمل في قلبها ، فهو قد انطفا الآن . وأدركت أن الموقف ميئوس منه ، لم يعد هناك أدنى شك . لو كان "فرانك شور" هو رئيسها، فسوف يمدها بدعم يتجاوز به اعتراض "بارنسكي" عليها ، أما الآن ... ربع الساعة فقط من المقابلة ، وسوف تنتهي هذه التمثيلية التي لا معنى لها . لا عجب لما بدا في صوت "بارنسكي" من انفعال . فالمفترض أنها سوف تعمل معه .

وأرخت بصرها إلى ملبسها . لقد كان تبذيرا لا مبرر له ، ولا تتصور أنها سترغب في ارتدائه مرة أخرى . إنه يمثل لها فشلا لا مثيل لعمق جرحه . ثم تذكرت أنها لا تزال تحتفظ بعزة نفسها ، فرفعت رأسها ، وسددت لـ"بارنسكي" نظرة باردة .

- " هل هناك مبرر حقيقي للاستمرار في هذا ؟ من المؤكد انه من الممكن ان توفر وقتك ووقتي من الآن ، أليس كذلك ؟ " .

وضاقت العينان الداكنتان ، ولكن لم يغير ما بهما من تباعد شيئا ما واحست بانه خرج عن تحفظه قليلاً ، ثم عاد لما كان عليه ورفع حاجبيه متسائلا :

- " هل تقصدين ان اتقبلك هكذا بدون إجراءات المقابلة الرسمية ؟ " .

وهزت راسها ، متمنية لو كان لديها الشجاعة لتاكيد هذا الاقتراح غير المحتمل . واستطرد قبل ان تاخذ فرصة للرد :

- " إذا ما هو قصدك بالضبط ؟ " .

- " سيد "بارنسكي" اليس الأمر واضحا انه لا يمكن لنا ان نعمل معا؟ " .

- " واضح لمن ؟ " . وكان صوته من الرقة لدرجة انها اضطرت لأن تنحني قليلا للأمام لتسمعه . " إنني اكره الأحكام المسبقة " وتوقف تنفسها لهذه الملاحظة القاطعة ، بعد كل ما سمعته منه من دقائق .

واحست بصرخة مكبوتة تنطلق في اعماقها . ثم تحركت للأمام وهي تشد كتفيها للوراء ، متوقعة منه ان يدور ليقودها إلى حيث ستتم مهزلة المقابلة ، ولكنه بدلا من ان يفعل ، اتكا على الباب ، فاضطرت إلى ان تتوقف توقفا فجائيا على بعد قدم واحدة منه ، وقد كست وجهها علامات الحيرة .

وكان على هذه المسافة القريبة يشع بقدر اكبر من المغناطيسية ، كما لو كان لحضوره قوة جاذبية ليست لغيره من الرجال ، بل لأنواع اخرى من الحيوانات. وكان السنور أول تلك الحيوانات ورودا إلى ذهنها ، ولكنه حيوان اليف ، والذي امامها أقرب لحيوانات الغابة ، فهو اسود اللون كالليل البهيم ، يستعد للانقضاض على ضحية بريئة وعلى الرغم من ردائها الأسود ، ومظهرها المتكلف، فقد شعرت بنفسها ضئيلة الحجم عديمة الحيلة ، ولحظة ان وقعت عيناها في عينيه ، ادركت انه راى في عينيها ما يعتمل داخلها من ذعر.

إنهما في القرن العشرين ، ولكن الموقف كان ينتمي للبدائية . لقد رأت في عينيه الوحشيتين غابات روسيا اللا متناهية ، وتدفق القرون مليئة بالانفعالات الإنسانية ، وامما تقوم وامما تختفي ، وتضاءلت حياتها أمام شيء اعظم وأخطر من اهتماماتها التافهة وهي منزوية في ركن ضئيل من الطبقة الوسطى في إنجلترا .

وكانت عيناه تمسح وجهها باهتمام وهي غارقة في افكارها تلك ، وشعرت "تيفاني" بما يشبه زلزالا داخلها انتهى إلى خفقان عنيف في قلبها ، وودت لو تحصل على جرعة من الهواء الطلق ، بعيدا عن الجو الخانق خلف خشبة المسرح ، ولكنه بدا غير مستعد لأن يتخلى عن مكانه أمام الباب .

وأخيرا تمكنت من أن تخرج صوتا اقرب للصرير :

- " اين تريد ان تجري المقابلة ؟ " .

والتفت وأخلى لها طريقا ، وقال بصورة مفاجئة :

- " تقدمي امامي ، فانا اخشى ان يكون صعودي السلم بطيئا هذه الأيام " . ورغم لكنته ، فقد دهشت لطلاقة لغته الإنجليزية ، وحين تاملت في عبارته ، انتابها شعور بالحرج . إن وجوده المسيطر ينسي المرء ما به من عجز .

وبدات تصعد السلم متمهلة ، تحاول ان تتجاوب مع بطئه . ولكنه توقف في المنتصف ، بينما استمرت هي مدركة ان آخر شيء يريده هو ان يطلب مساعدتها . وحين وصل أخيرا أعلى السلم ، كانت نظرته تفيض بالمرارة . وقال بصوت أجش :

- " مثل كل المعوقين ، أجد بعض الأيام اصعب من بعض " . ثم دفع بابا بعنف ، قاطعا عليها أية فرصة للتعليق ، واصطدم الباب بالحائط صدمة مدوية، واشار لها بيده بحدة ، مشيرا إلى انها يجب ان تدخل .

وكانت الغرفة مزدحمة بالنباتات والمرايا في غير انتظام . وفي نهايتها باب يفتح على غرفة اخرى بنيت على سطح المسرح . وبدت لها حتى من موقفها ذاك ، البانوراما الرائعة لمدينة لندن تمتد إلى

الأفق . وبدت قبة كنيسة " سانت بول " البديعة كما لو كانت في متناول اليد . وتساءلت إن كانت تذكر "هارلم" بقباب مدينة موسكو ، وإن كانت أبسط منها شكلا ؟ !! .

وكان قد القى بنفسه على أريكة بصورة توحي بان الصعود قد اجهده باكثر مما كان يريد أن يعترف . وزمجر بدون أن ينظر إليها :

- " ساكون مضيفا سيئا واطلب منك أن تصبي شيئا من الشراب لنفسك " ونظرت إليه ، فوجدته قد اغمض عينيه . وبعد لحظة فتحهما فجاة ، وبادل نظرة الإشفاق في عينيها بنظرة ساخرة ، وصاح بها :

- " حسنا ، هل ستظلين واقفة هكذا ؟ " .

قالت بكل ما يمكنها من ثبات :

- " شكرا لك ، ليس بي رغبة للشراب "

- " حسنا ، ولكن رغبتي له ملحة ، صبي لي كاسا من فضلك "

ووضعت نماذج عملها بعناية بجوار الباب ، وكانت قد وصلت لمنتصف الغرفة حين ناداها :

- " دعك من هذا ، تعالي "

ونظرت إليه بسرعة لترى ما يقصد ، ثم عضت شفتيها كان يشير بيده إلى لوحاتها التي وضعتها عن غير تفكير بعيدا عن متناول يده واسرعت وهي تتمنى الا يعتقد انها فعلت ذلك عامدة ، واحضرتها إلى جواره على الأريكة ، وبدات تفك عنها الرباط المطاطي

وزمجر لها قائلا :

- " ليس في يدي أي عيب " محملقا إليها بملامح قاسية

والتقت عيناها مع عينيه في نظرة مفاجئة ، فوجدت عينيه تلمعان ردا على نظرتها واستطرد :

- " كما قد تكتشفين ذات يوم "

وشهقت وهي تنظر إليه ، ولم يعد هناك شك في مقصده وانفجر غضبها متجاوزا كل الحدود ، وقالت بكل برود وهي تبتعد عنه متجهة

لخزانة المشروبات: - " كنت أعتقد أنني لست من الطراز الذي تميل إليه ياسيد "بارنسكي" وأحست بالتشفي وهي تفتح الخزانة فوجدت كاسين - وقررت أنها بحاجة هي الأخرى للشراب . ولم يرد عليها . وحين اختلست نظرة له وجدته ينظر إليها نظرة مركزة طويلة ، ثم بدا يتجه ليفحص أعمالها .

وكما توقعت ، لم تجد في الخزانة سوى عصير الليمون . وودت لو لم تصب لنفسها كل ذلك القدر وليس موجودا ما تخففه به ، ثم وضعت كاسه على مقربة منه .

وقال لها وهو مشغول بلوحاتها التي فرشها حوله :

- " شكرا يا عزيزتي . " وقدرت "تيفاني" أن حركة التودد تلك كانت عرضية. وجلست هي على كرسي مذهب كما لو كان قد أحضر من قصر "وينتر بالاس"، وكانت في جلستها متحفزة كمن يجلس أمام حيوان غير مستانس . وكان التغير الذي بدا عليه غير متوقع . ها هو ينظر باهتمام إلى رسوم لوحاتها .

فهل هو اهتمام مصطنع يا ترى ؟ أخذت تسال نفسها وهي تراقبه . إنها لا تعتقد انه يصل لهذا الحد حفاظا على مشاعر أحد . وأحنقها انه وقد قرر ما قرره بشانها ، يستمر في لعبة القط والفار هذه ، ليطيل امر عذابها إلى اللحظة التي ستهب فيها واقفة ، لتنصرف خائبة الرجاء .

ورفع نظره فيها فجاة ليضبطها في قلقها ، وسالها :

- " لماذا انت مقطبة الوجه هكذا ؟ " .

ولم ينتظر منها ردا ، بل مد يده لكاسه ، وأفرغها في جوفه دفعة واحدة . وكانت الجرعة في نظرها في حدود ما تسمح به القواعد الصحية ، ولكنه مد يده بالكاس .

- " اتقصد انك تريد كاسا ثانية ؟ " .

وتسببت تلك الكلمات التي خرجت من فمها عفوا ولم يكن ليهمها ذلك الأمر أصلا - في أن يهز راسه بعنف ، ويسدد لها نظرة صارمة :

- " وهل تقصدين انت ان تنتقدي امر شرابي " ثم انطلق يقهقه وهو يطيح برأسه للوراء : " يا لها من بداية . لقد كان المفترض ان اقول لـ"فرانك" لا ، واصر عليها . واضح انك لن تسببي سوى المتاعب . " وكانت عظام وجنتيه اكثر بروزا حين يبتسم . وتنبهت إلى انها اول مرة ترى على وجهه شيئا خلاف التبرم او المرارة . كان فمه لا يزال منفرجا في ابتسامة بعثت بالحياة في كل الغرفة .

ولم تستطع الرد على ما قال ، ففغرت فاها وهي ماخوذة من المفاجاة ، وهذا الإشراق في وجهه .

- " كوني ملاكا ، وقدمي لي كاسا ثانية ، إنني اشعر ببركان في داخلي إنه ليمون فحسب " وسارت إليه كالمنومة :

- " الم تقل .. " ثم تذكرت فجاة ان المفترض انها لم تتنصت على ما كان يقوله لـ "فرانك شور" في سورة غضبه . فتوقفت عن الكلام ، ثم استطردت اخيرا:

- " ماذا قلت ؟ " .

- " لا تكوني متصلبة هكذا يا انسة "ملجروف" . قدمي لي كاسا ، ولنفسك اخرى لو اردت وتعالي اجلسي إلى جوارى . اريد ان اعرف كل شيء عن هذا " وربت حافظة لوحاتها : " يبدو انك غير مسرورة بالعمل معي . هل حصلت على عرض افضل ؟ " .

وبدت نظرة حيرة في عينيه ، كما لو كان لا يتصور عرضا افضل من العمل معه .

ولم تزد "تيفاني" على هز راسها ، شاعرة بالدوار... فهي لا تدري ايهما اسوا . "هارلم بارنسكي" المفترس ، ام ذلك الرجل الذي يحتمل ان يكون اشد خطورة ، والذي يبتسم لها ابتسامة كاعذب ما تكون الابتسامة إشراقا .

ثم ماذا تراها تقول حول ما إذا كانت ليست مسرورة بالعمل معه ؟.

الفصل الثالث

رفضت " تيفاني " دعوته للجلوس إلى جواره ، وظلت على مسافة مامونة منه على كرسيها المذهب ، قابضة على كاسها كما لو كان فيها الأمن لها . ثم قالت في صوت محتبس :

- " سيد " بارنسكي " .هل سيكون عملي معك ؟ " فاجابها على الفور :

- " الا تريدين ذلك ؟ " ورفع حاجبيه في دهشة ساخرة .

وتفادت الرد على سؤاله بدهاء وقالت :

- " يبدو انه كانت لديك شكوك نحوي " فقال بابتسامة ساحرة :

- " تخمين في محله ولكن "فرانك" يرى انك افضل موهبة صادفها من زمن على حد تعبيره . ولما كنت لا اشك في صواب حكمه ، فقد قررت سعيدا ان امنحك فرصة " .

- " عمل بصورة مؤقتة ؟ " .

- " كل شيء في العالم يا انسة "ملجروف" ، مؤقت بطبعه " واظلمت عيناه لحظة ، وتقوست شفتاه في ابتسامة حزينة . ثم مال تجاهها ،

واضعا يده على حافظة لوحاتها ، وسال :

– " هل ستتخلين عني ؟ " . فردت على الفور :

– " لا بالتاكيد ، لا ، كل ما في الأمر .. " وكانت فكرة أن تتخلى عنه قد واتتها بصورة مفاجئة ، فاربكتها ، إذ راتها أكثر أمنا لها .

– " ربما بدا عليّ انني لم آخذ عنك انطباعا طيبا " .

بالتبسيط الأمور . وهزت راسها غير واثقة من نفسها ان تتكلم .

قال موافقا :

– " هذا حق . فانا اكره التاخر في المواعيد ، عدم الكفاءة ، عدم الإتقان في العمل ، الاضطراب والارتباك " .. ثم نظر لحافظة اللوحات واستطرد : "والخداع ونقص الموهبة " وكان وجهه تحول لبرودة الجرانيت ، خاليا من اي حرارة . ودق بإصبع على الحافظة : " هل كل هذه اللوحات لك ؟ " .

والتهبت وجنتاها في احمرارهما :

– " بالتاكيد لوحاتي " . وقبل أن تنفجر بالغضب ردا على ملاحظته المهينة رفع لها يده .

– " كما ترين ، اهدئي " وعاد يبتسم لها : " ارجو أ ن تعذريني ، فلست أجيد لعبة الكلام المنمق ، وربما لا أعرف لغتكم بالقدر الكافي الذي يجعلني أستطيع التعبير بصدق عما أريد " .

وانفجرت ، غير قادرة على ضبط انفعالاتها أكثر من ذلك :

– " إنك تتقن اللغة جيدا على ما أرى . وتتهمني باني قد نقلت أعمال اشخاص آخرين " .

– " ليس تماما ، لقد كنت أسال ، ولا اتهم . أحيانا يغالي الطلبة في أخذ الانطباعات عمدا ، واحيانا أخرى بدون إدراك " وقلب اللوحات بسرعة ، إلى أن وصل إلى أحد أوائل أعمالها فقال :

– " هذه المجموعة مثلا ، يبدو الطابع الالماني غالبا عليها .. "

– " اعلم ذلك . لقد كان تمرينا لنا ، واستجبت لكل معطياته ، واستخدمت هذا الفن لأني رأيت فيه الحل العملي للمشكلة التي كانت

محل التمرين " .

وصمتت ، وأخذت تضم شفتيها لتمنعهما من الارتعاش ، واحست بان الرداء الجلدي قد بدأ يلين بتاثير حرارة بدنها . وبدا لها الهيكل الأسود لـ "هارلم بارنسكي" ضخما هائلا ، يجعلها تشعر كانها قزم في حضرته المهيبة . وأجبرت نفسها على أن تجلس غاية في السكون والتركيز .

وعاد للوحات ، يقلبها مرة أخرى :

– " اه فلنترك هذا الآن . لقد لاحظت أن هناك تصميما واحدا أو اثنين فقط خاصين بالرقص ، أيعني هذا أنك لا تهتمين بالرقص " .

– " لم يكن من المجالات التي فكرت في التخصص فيها ، إذا كان هذا ما تعني . فاغلب أعمال المسارح هي للروايات المسرحية ، والوظائف مع فرق الباليه أو الأوبرا نادرة نسبيا . وكان علي أن افكر في المستقبل . "

– " ولكنك لا تحملين شيئا ضد الرقص في قرارة نفسك ؟ " .

وتعجبت أنه يطلق على الباليه كلمة الرقص دائما : وردت بادب :

– " ليس في الباليه شيء أحمل في نفسي ضده شيئا ، كما اني اعترف انني لا أعرف عنه الكثير" . وكانت إضافة تجعلها في الجانب الآمن .

– " غاية في الدبلوماسية . أعتقد أنك تريدين القول بانك ستقبلين اي شيء يعرض عليك " .

ورفعت ذقنها :

– " ليس اي شيء يا سيد "بارنسكي" . ولكني محترفة ، أو على الأقل ساكون هكذا حين اغادر الكلية الأسبوع القادم .. " .

وقاطعها برقة ، ونظرته الغريبة تنزلق عليها :

– " يتطلب الأمر عمرا ليصل المرء للاحتراف يا آنسة "ملجروف" . لا تتصوري أن هذا الشيء يحدث بين عشية وضحاها . سوف تكونين تحت التمرين لسنوات . وعليك كمبتدئة تماما أن تتقبلي كل ما يسدى

إليك من نصح" . وردت ببرود :

- " افهم ذلك . ولكني ايضا لدي افكاري ، اوليس هذا هو ما جعل السيد " شور " ينتقيني من بين الآخرين ؟ " .

ورماها بنظرة متلألئة :

- " فلنامل ان يكون هذا اساس اختياره " . واغلق الحافظة بعنف ، ومد قدميه الطويلتين امامه ، ثم اسند راسه إلى الاريكة ، واغمض عينيه كما لو كان يروح في دنيا بعيدة عنها . ولم تتمالك " تيفاني " عندئذ من ان تترك لعينيها العنان في تامله ، بعد النظرات الخاطفة التي كانت ترميه بها . وكانت علامات الحزن تخيم على وجهه في استرخائه ، ولكنها لاحظت ايضا ما يبدو عليه من حيوية وقوة . كان في ابتسامته كانه يتحول لواحد من آلهة الإغريق الخرافيين : " پان " إله الغابات والرعي ، او " باكوس " إله الشراب ، مختلطا في ذهنها بفارس القوقاز الذي راته فيه في اول لقاء بينهما .

وبدا يقول ببطء :

- " اعترف بانني اصابتني الحيرة بالنسبة لك حين رايتك في المعهد - باللفوضى التي خلقتها ! لم استطع ان اوفق بين مظهرك إذ ذاك وبين النماذج الرقيقة ، الدقيقة التي من المفترض ان تبدعيها .. بالتاكيد قد يعجب " فرانك " ما فيها من سريالية الخيال .. بل وربما بلاهة . "

وصاحت في دهشة :

- " بلاهة ؟ " وفتح عينيه على صيحتها . لقد كانت فوضوية ، لا باس ، له ان يقول ذلك ، ولكن بلاهة ؟ إن هذا لكثير !

وسالها بابتسامة عذبة :

- " اهذه هي الكلمة الصحيحة " ثم اضاف وهو ينظر لوجهها المحتقن :

- " ربما كنت اقصد السذاجة " .

- " لقد قلت بلاهة .. "

- " حسنا ، نعم ، هذا حق . فانا على شيء من هذا " ثم رفع

حاجبيه قائلا : "لا ؟ " وبدا يستطرد قبل ان تواصل اعتراضها ، وكانه يحدث نفسه : " مثلك بالضبط . إن زيك الأسود الجلدي يجعلك تبدين انيقة وناضجة ، يا آنسة "ملجروف" . " ثم استطرد برقة ، مضيقا من عينيه : " ولكن تحت هذا السطح تكمن الفتاة الصغيرة المرعوبة والمرتبكة ، التي رايتها ممددة على الأرض تحت قدمي " .

وشهقت ، ثم طرحت راسها للوراء ، والكاس على شفتيها . وحين عادت لوضعها ، ووضعت الكاس جانبا ، كان "هارلم" يضحك برقة .

- " اعتقد ان هذا يثبت وجهة نظري ، اليس كذلك ؟ " .

وسالته في صوت جامد ، بدون ان تنظر إليه :

- " ما الذي يثبت وجهة نظرك ؟ " .

- " إنك سهلة الاستثارة " وبدا كما لو كان يتحرك مقتربا منها ، ولكنه كان صوته الذي تغير فقط : " اهدئي يا آنسة "ملجروف" ، فلا مناص من حدوث الأسوا " . وانتفضت قائلة :

- " الأسوا ؟ " .

- " هكذا الحياة " . وكان وجهه كالحا . ورات ان وراء مزاحه المتعمد، كانت المرارة جاثمة على صدره كصخرة صماء .

وقال فجاة :

- " اعطيني كاسا أخرى ، وهيا للعمل " .

ولم تتمالك من ان تكرر وراءه :

- " العمل " .

- " خير البر عاجله ، اليس هذا ما تقولون ؟ " .

- " عن نفسي ، لا ، فانا اتحاشى العبارات الدارجة . " .

- " في الأقوال فقط ام في التصرفات ايضا يا آنسة "ملجروف" ؟ " .

ولما لم تفهم قصده ، رات انه من الأفضل ان تكتفي بهز راسها .

- " وهل سيكون تصرفا دارجا ان اطلب منك الجلوس إلى جواري ؟ " .

- " سيكون التصرف دارجا إذا ما .. " وعضت شفتها غير متجاسرة على ان تكمل ما في ذهنها .

- " إذا ما وضعت ذراعي حول كتفك ، وقبلتك مثلا ؟ " .

وابتلعت ريقها وهزت راسها :

- " حسنا فلنبتعد عن كل ما هو دارج باي ثمن . ولكن يمكننا تناول عصير الليمون بكل تاكيد . " .

ونهضت خدرة الأوصال واتجهت للخزانة . وكان ابتعادها مهلة للابتعاد عن محيط تاثيره . وشعرت بالإنهاك العصبي ، وكل خلية في جسدها تنتفض .

- " اتمنى ان يعجبك الشراب " ولفت شاهقة ، وكان يقف وراءها . لابد انه تحرك في خفة الفهد . وغمغم ، فاهما - خطا - شهقتها :

- " نعم ، يمكنني السير . إن الرقص فقط هو ما لا استطيعه .

هذا كل ما في الأمر " وتقلصت شفتاه في سخرية وهو يضيف :

" وهكذا فالأمر على ما يرام ، اليس كذلك ؟ " .

ووجدت نفسها تلتصق بالخزانة المذهبة وراءها ، وقد احتبست انفاسها، ووقف شعر مؤخر عنقها نتيجة لشعور لم تستطع ان تعرف كنهه . ومدت يديها في حركة دفاعية :

- " سيد "بارنسكي" ... " وقطع رنين التليفون الموقف المتوتر بينهما . والتفت ، ولكن ليس قبل ان ترى وميض السخرية في عينيه لان يدق الجرس في هذه اللحظة بالذات . وفكرت بذهن متقد : " لقد كان على وشك ان يقبلني . لا يمكن ان اسمح له . إنه على درجة فظيعة من ... "

وابتلعت ريقها . . .. "على درجة فظيعة من كل شيء . "

كان متكئا على مسند الأريكة ، بيده جهاز تليفون من طراز عتيق ، يتكلم بسرعة باللغة الروسية . وكان صوته يعلو ويهبط . وعندما ضحك ضحكة رقيقة فقط توقعت ان يكون الطالب امراة . واعدت له كاسا ، ولنفسها مقدارا قليلا لتهدئ نفسها . وكانت على وشك ان تجلس حين فرقع باصابعه ليجذب انتباهها .

كان لا يزال يتحدث بسرعة ، ويده الأخرى تلوح لها . وفهمت قصده فاتجهت واعطته الكاس ، متسائلة امن عادته ان يشرب بهذا المعدل ،

وهل هذا من متطلبات عمله الذي ستشاركه فيه ؟ ! .

وبدت المكالمة وكانها لن تنتهي . وخلالها اخذت تقلب فكرة رفض العمل في راسها . كان يبدو جحيما لا يطاق في العمل ، ولم يرق لها ان تنهمك معه في العمل ، ثم تلفظ حين تستهلك . واخذت تختلس له النظر ، تحاول ان تتبين إن كانت القسوة التي تراها على وجهه ، والتقلص المفاجئ الصارم لشفتيه ، وما يبديه من مرارة ، كلها حقا ؟ وإن كان الأمر كذلك ، فهل تكون ابتسامته الساحرة ، والتي تشرق كضوء الشمس حين يبدو من بين الغيوم ، اقل من ذلك حقيقية ؟ .

ومسحت بيدها حاجبها . لقد آن الأوان لان تسيطر على نفسها . لقد رماها بالبلاهة ، اما هو ، فمجرد رجل مشهور .. لا مانع ... طاغ في جاذبية. لا شك في ذلك . ولكن ما عدا ذلك ، فهو شخص كاي شخص اخر . لقد كان جنونا منها ان تدع مشاعرها تفلت منها هكذا . واكثر من ذلك ، سيكون رئيسها في العمل ، ومن اكبر الأمور الدارجة أن تحني راسها لرئيسها تملقا . إنها بحمد الله تمقت الأمور الدارجة . إنها إنسانة ذات كيان ، واصالة ، و... ما الذي قاله "فرانك شور" عنها ؟ افضل موهبة صادفها من زمن ؟ فليس لها إذن ان تفقد السيطرة على نفسها ، ولا ان تترك ابتسامة قاتلة تدمر مستقبلها .

وبدا ان المحادثة ستستمر بلا نهاية . واستطاعت ان تبعد عينيها عنه وتجيلهما في الغرفة . كانت الغرفة خليطا من الأذواق . فبجوار ما بدا من مخلفات "وينتر بالاس" ، كانت هناك اريكتان جلديتان ، ومرآة حائط ضخمة مذهبة الإطار البديع النقوش ، أهي من مخلفات قصر "فرساي" ؟ ثم مجموعة من كراسي مائدة ، ذات ظهر مستقيم ، مصفوفة حول منضدة إيطالية سطحها من الرخام الملون باللونين الرمادي والأرجواني الفاتح . وكانت الكراسي امريكية الطراز ، بديعة ، عملية ، راقية الصنع . وكانت الغرفة توحي بالدفء بتاثير سجادة ضخمة مصنوعة باليد معلقة على الحائط ، ذات الوان ساخنة بين حمراء وقرمزية وزرقاء ورغم ان الوقت كان وقت غروب الشمس ، وقد بدت

الشمس شاحبة تلون السماء بلون ذهبي من خلال نوافذ الشرفة ، فإن خيال "تيفاني" لم يعجز عن تصور بهاء الغرفة حين توقد بها المصابيح ليلا . ووقع بصرها على مجموعة من الصور على المنضدة بجوارها . وابتسمت ابتسامة خفيفة لصبي صغير السن واقف في ثقة ، ممسك بباقة من الزهور ، يرتدي رداء أبيض أشبه بأزياء الإغريق القدماء . وصورة أخرى لنفس الصبي ، بعد عام أو عامين ، في سترة سوداء مخملية ، محكمة عليه كرداء للرقص ، وهو يقوم بحركة باليه متقنة .

ثم انحنت أكثر . إن هذا الفم الواسع لا تخطئه العين . وبنظرة سريعة لبقية الصور ، رأت أنها جميعا لـ"هارلم" ، في فترات مختلفة من عمره ، وأوضاع مختلفة من رقصاته . كان متقمصا كل دور من أدواره ببراعة فائقة ، لم يكن يفضح شخصيته الحقيقية سوى فمه المعبر .

وأمعنت النظر . وكانت آخر صورة ملتقطة له في هوليوود على ما يبدو ، وتكون بذلك قبيل وقوع الحادثة . كانت لشاب وسيم ، داكن البشرة في حلة بيضاء ، في أوائل الثلاثينات من عمره تشع عيناه بالإدراك بأن الدنيا تحت قدميه . وبعدها كانت صورة له ، التقطت في أحد الاستوديوهات ، في الثامنة عشرة تقريبا ، بدأت تختلط ملامح النضج الرجولي بآثار براءة الطفولة ، وكان ممسكا بحنان بيد فتاة رائعة في ثوبها الخفيف الأبيض . وكانت اللقطة التي سجلت موقفا عاطفيا بينهما جعلت قلب "تيفاني" يخفق لما تصورته الحب الأول، متذكرة حبها الأول الضائع . كان لصبي يسكن آخر الشارع ، وقد تشابكت أيديهما ذات مرة . وتذكرت ذلك الموعد بالضبط ، بحنين وشوق . ولم تستطع أن تقاوم أفكارها الشاردة عما إذا كان حب "هارلم" الأول كان بريئا ، مع هذه النظرة الطاهرة في عيني الفتاة ، ورقتها البالغة .

– " إذن فقد وجدت المجموعة " وكان شبه ملتصق بها . وأخذت توقف الصور كما كانت ، باذلة تركيزا كبيرا لتتمكن من ذلك .

وقالت متلعثمة :

– " آسفة ، أرجو ألا يكون لديك اعتراض " .

قال :

– " إنها معروضة للعلاج ، وليس من قبيل الغرور . لقد قيل لي إنني سوف أشفى لو استطعت أن أتأمل الماضي بدون رغبة في ضرب رأسي بالحائط . أتصدقين هذا ؟ " وأخذت عيناه تدوران داكنتين وهما تحملقان إلى وجهها ، وشعرت بأنهما سوف تهزآن بأية إجابة مجاملة، وأنهما تقتحمانها كما لو كانتا تريدان أن تستخلصا الإجابة من أعماق نفسها . وشعرت بذهنها يفرغ فجأة من كل ما فيه ، ثم بدأت تفترض أنه يتكلم عن الحادثة التي وقعت له ، فردت بحرص:

– " هذا يعتمد على تصرفك . وإن كنت مستعدا حقا لأن نبدأ من جديد . فأنا عن نفسي لم أواجه حادثة خطيرة ، ولا يمكنني بالتالي إلا افتراض ما يجب أن يكون " .

– " ماذا ؟ الآنسة "ملجروف" جالبة الحوادث ، لم ترتكب حادثة بسيارتها قط ؟ " .

– " إنني لا أقود السيارات ، ولكن ، ما الذي يدعوك لأن تعتبرني جالبة للحوادث ؟ " . والقت نظرة عصبية إلى مجموعة الصور المرتبة فوق المنضدة .

– " عميد معهدك .. " .

– " أهو قال ذلك ؟ " .

– " كان يدافع عما حدث لك . وكان يقصد إثارة العطف عليك ، جزء لا يتجزأ من موهبتك .

– " عميد معهدك . " .

– " أهو قال ذلك ؟ " .

– " كان يدافع عما حدث لك . وكان يقصد إثارة العطف عليك ، جزء لا يتجزأ من موهبتك المتهورة ، على حد قوله بالتأكيد . " ولم يكن مبتسما ، رغم أن كلماته كانت تخرج رقيقة ، فكهة بقدر كبير . ولكن

نبرته تحولت للجد وهو يقول: - " لا اتصور اني اشاركه نظرته المتساهلة للفوضى ، فلدي قواعد هنا يا انسة "ملجروف" ، واهمها اني لا اتساهل مع الإهمال . ليس لدي وقت للمتهاونين الذين لا يعرفون عملهم جيدا ، والذين يتركون الأشياء تتناثر لمجرد تكاسلهم . ومن هذه الزاوية بالذات ، عليك أن تكوني محترفة من قمة رأسك إلى اخمص قدمك لحظة دخولك هذا المكان ، هل انا واضح ؟ " .

- " تماماً " وشعرت بعينيها معلقتين بنظرته النارية .

- " يأتي الأمان أولا في أعمال المسرح . لا أريد حوادث ، أو اخطاء ، فتصميماتك يجب ألا تحقق فقط النواحي الفنية المطلوبة ، بل تكون الأولوية فيها لسلامة الراقصين " .

وبدأت تقول :

- "سوف أحاول جهدي .. " .

- " لست أعطي جوائز ذهبية للمحاولة يا انسة "ملجروف" ." ونظر إليها نظرة توجس " الجوائز الذهبية للنجاح فقط ، وأقول لك من الآن ، يجب أن يكون بنسبة مائة بالمائة ، مفهوم ؟ " .

ولم تستطع أن تبعد عينيها عن وجهه الصارم . ولم تعرف ما الذي جعله بهذه الصرامة ، ولكنها واجهته بثقة ، بدون أن تختلج لها عين :

- " إنك الرئيس يا سيد "بارنسكي" وسوف انفذ ما تقول .. " ثم شهقت شهقة خفيفة ، واكملت مسرعة : " اقصد ، كل ما تضع من شروط ." وبدا لها ذلك أفضل في أذنيها ، ثم توقفت عن الكلام .

- " أود من كل قلبي ألا تكوني مشوشة الذهن كما يبدو عليك " وكان صوته يحمل نبرة شك ثم جال بنظرة في الغرفة ، وقال مشيرا للوحاتها :

- " لماذا لا ترتبين هذه اللوحات ، وتزيحينها جانبا . أريد أن تسمعي بعض الموسيقى معي " بينما اتجه هو إلى جهاز موسيقي غاية في التقدم مركب في الحائط ، أخذت هي تنفذ ما قال ، وهي تتساءل عن سبب دعوته هذه ، بعد أن قال إنهما سوف يبدآن العمل .

كم كانت تود لو كانت المقطوعة لـ "تشايكوفسكي" ، ليس لأنها تكره موسيقى الباليه ، ولكن لما تتصوره من تاثير انغامها الساحرة على أعصابها لو كانت ستقضي وقتا أطول مع "هارلم بارنسكي".

ربما سيكون جحيما ، ولكنها لا تستطيع أن تنكر تاثيره الذي يذوب له جسدها.

لابد انه تاثير نجوميته ، شخصيته الساحرة ، جاذبية حيوانات الغاب في عينيه ، النداء البدائي بين الرجل والمراة . وأغلقت ذهنها عن كل تلك الأفكار وهو يأخذ الحافظة من يدها ، وراقبته وهو يضعها على الأرض بجوارهما ، ثم أجلسها بعنف إلى جواره على الأريكة في الغرفة الخافتة الأضواء .

الفصل الرابع

هرعت "تيفاني" صاعدة السلم ، وصاحت وهي تتجه لغرفتها :

- " لقد حصلت على الوظيفة" . والقت بحافظة لوحاتها في غرفتها ، ثم ركضت للمطبخ حيث تعلم أن "جيني" و "بات" موجودتان . ، . وما إن اطمأنت إلى وقع الخبر على وجهيهما حتى اختفت مرة أخرى وصاحت من غرفتها :

- " سوف أبدل ثيابي " وخلعت حلتها وعلقتها بلا عناية في دولاب ملابسها ، وتدافعت الفتاتان داخلتين عليها الغرفة ، وقالت "بات" متهللة :

- " يا لحظك الرائع ، اقال لك هذا من اول مقابلة . إنهم عادة ما يتركونك لدهور منتظرة . ومتى ستبدئين ؟ " .

- " لقد بدأت بالفعل " والقت نظرة على لوحاتها الملقاة على السرير :

- " سوف أذهب غدا صباحا ، ولكني لن أعمل مع "فرانك شور" .

وكان صوت "بارنسكي" الأجش وهو يقول لها : " أريدك غدا صباحا " لا يزال يرن في أذنيها .

صاحت "جيني" وهي تتفرس في وجهها :

- " ماذا ؟ لقد ظننت أن المقابلة كانت معه " .

وهزت "تيفاني" رأسها وقد انتهت من ارتداء ملابسها ، وكان يعلو وجهها خليط من السعادة والهيستيريا ، فهي تعلم ماذا سوف يكون رد فعل "جيني" وبدأت تتلاعب بذلك ، ففتحت ذراعيها وأعلنت :

- " سوف أعمل مع البطل .. بطلك يا "جيني" ... السيد فارس القوقاز.. "إيفان" الرهيب ... شخصيا " .

- " مَنْ .. أتقصدين .. لا .. "بارنسكي" ... لا يمكن ، لا أصدق . "

- " ولا أنا ، فمازلت أقول لنفسي إنه حلم رهيب . "

وتجاهلت "جيني" ملاحظتها الأخيرة ، وأمسكت بذراعيها تدور بها في الغرفة:

- " يجب أن تأخذيني معك يوما . أرجوك يا "تيف" ! يجب ! ما شكله؟ خبريني، ماطوله في الحقيقة؟ أوه يا "تيف"، يجب أن تخبريني،إنك لمحظوظة!".

وخلصت "تيفاني" نفسها من يديها ، ثم ارتمت على السرير :

- " كنت أعلم أنك سوف تتصرفين هكذا " ولم تكن تبتسم هذه المرة ، وحين رفعت رأسها ، توقفت "جيني" عن الدوران ، ونظرت إليها باهتمام :

- " ما الخطب ؟ أليس كل شيء على ما يرام ؟ " .

واعتدلت "تيفاني" ، وأخذت تعد على أصابعها :

- " إنه يظن أني بلهاء ، لا نفع مني ، ومضيعة للوقت ، وأيضا يظن أن مظهري يمثل فوضى كاملة ، وتصميماتي سوف تنهار وتقتل راقصيه . وفضلا عن ذلك ، يظنني واقعة تحت سحره الروسي . لقد فكرت في كل هذا وأنا في القطار الكهربي متجهة للبيت " وطاف بذاكرتها كيف صرفها باقتضاب فور أن انتهت الموسيقى .

- " كما أنه اعترف بأنه لم يكن سيستخدمني إطلاقا ، وأنه يفعل ذلك ليرضي "فرانك شور" ..." وقاطعتها "جيني" بحدة :

- " إنه ليس من الطراز الذي ينفعل لإرضاء أي إنسان . ولا يمكن أن يكون بهذا السوء . ماذا يظن عن عملك ؟" .

وتوردت وجنتا "تيفاني" :

- إنه يظن أنه قد يكون مناسبا . يظهر أن عملي ينتمي إلى السريالية لدرجة أعجبت "فرانك شور" ، وأنه سوف يقبل ذلك كبداية . "

- "وفرانك شور ؟" .

- " لم أقابله هذه المرة لسوء حظي . لقد كان غاية في الظرف في المعهد ، واكتشفت أنه يرى أنني طفلة ليست سيئة المظهر ، ذات مقدرة رائعة ، وأنني أحسن موهبة قابلها منذ زمن . "

- " أوه ، هذا جميل ! " .

وسألتها "بات" منفعلة :

- " أقال لك هذا ؟ " .

- " لا ، يؤسفني أن أقول إنني تنصت لكل هذا وهو يدافع عني أمام "بارنسكي" الذي كان يعارض بشدة . كان الأمر كله مشوشا . ولم يكن لي أن أتنصت ، فقد وقع ذلك بمحض المصادفة " .

وتقلبت في سريرها : "كان شيئا فظيعا ، ولم أدر لدقائق ماذا أفعل . فقد بدا الأمر ميئوسا منه وأردت أن أهرب من لحظتي ، ولكن "بارنسكي" أتى قبل أن أتمكن من ذلك . على العموم ، حتى لو كان باستطاعتي الهروب ، لما فعلت . إنني أريد العمل فعلا ، أتسمعان ! إن المسرح فرصة رائعة ، ويمكن أن أبدع فيه ، إن لديه أناسا رائعين يعملون معه .. "

- " صبرا ، نريد أن يتضح الأمر ، فأنت تبدين مشوشة ".

- " وهذا شيء آخر قاله عني ، إني مشوشة الذهن " وتوقفت تحاول أن تبدو منطقية ، ونظرت لهما نظرة متحيرة .

- " ماذا أفعل ؟ لا يمكن أن أعمل مع شخص يظن بي كل هذا ، أليس

كذلك".

- " على رسلك ، إنني غير دهشة أن أراك في هذه الحالة . فهو غاية في الحيوية والنشاط على المسرح ، كيف بالله هو حقا ؟ .. " وارتعشت "جيني" قليلا ، بينما هزت "بات" كتفيها وقالت :

- " إنني أكاد أموت شوقا لرؤياه ، إنني لا أكاد أصدق أنه موجود حقا ! ثم اتجهت للباب : " اتركاكما الآن تهذيان بعبارات المديح له ، وأفكر أنا في أموري الأخرى . وسوف أعيرك يا "تيفاني" كتابا في التفكير السديد " ثم أضافت باكتئاب : "إنه أحسن خبر نزل على هذا المنزل من عدة شهور " وقطبت "جيني" جبينها :

- "إن "بات" تنتظر الوظيفة التي كانت تسعى لها ، ولها الآن أسبوع . وذهنها الآن مضطرب . ولكن ، اسمعي يا "تيف" ، لماذا كل هذا الندب منك ؟ " إن أمامك فرصة ذهبية ، وهذا كل ما يهم في الأمر " .

- " ولكن ، وأنقل لك عبارته :" كل شيء في هذا العالم يا آنسة "ملجروف" مؤقت بطبعه " ثم عبست : " أتعلمين ماذا يقصد ، إنني إذا لم أرض رئيسي فسوف أطرد شر طردة ، وماذا لو نفذت عملا ولم يحقق شروط السلامة ؟ " .

- " مخاطرة ، ولكن ، هذه هي الحياة . ولا يوجد مبرر له أن يطردك . وإذا كان "فرانك شور" هو من اختارك ، فإن لك بكل تأكيد فرصة لتثبتي نفسك ".

- " إن "فرانك شور" و "هارلم بارنسكي" شخصيتان مختلفتان تماما ، نعم ، تماما ! " ثم احتضنت ركبتيها : "بكل جد يا "جيني" ، لست متأكدة أنني على مستوى الموقف ؟" .

وسألت "جيني" بذكاء :

- " هل بسببه ؟ " .

وهزت "تيفاني" رأسها :

- " نعم ، لقد كان أسوأ عصر يوم في حياتي ، لست أدري أين أنا ؟".

وأخذت "جيني" تطوي غطاء السرير :

- " إذن هو رائع في الواقع ، كما هو في الفيلم " .

- " رائع ؟ إن هذه الكلمة تبسيط للواقع . إنه يبدو كالسحر ، وصوته يجعل أصابع قدمي تنقبض . ولكن كرجل أعمل معه ... وله .. وبجواره .. "جيني" إن هذا كثير بالنسبة لي ، لا أستطيع " .

- " أنت تعلمين أنك تستطيعين " .

وهزت رأسها :

- "سيكون أشبه بالمشي في حقل الغام ، خطأ واحد ، ويمزقني إربا .

اتصلت في صباح اليوم التالي ، وطلبت رسميا إعفاءها من الحضور الأسبوع الأخير من الفصل الدراسي ، واستمعت بابتسامة مبهمة لرئيس القسم وهو يهلل لحصولها على هذا العمل المرموق . ولم ترد أن تفسد عليه فرحته بإخباره أنها ربما تعود قبل انقضاء الأسبوع تجر ذيل خيبتها .

- " شكرا لكل ما فعلته طوال السنوات الثلاث الماضية يا "رج" . سأحاول أن أحصل على إذن لحضور آخر يوم في الأسبوع لتوديع الجميع " .

ووصلت للمسرح في التاسعة بالضبط . وكانت مشكلة لها ماذا ترتدي لليوم الأول ؟ .

كانت قد استبعدت التنورات الريفية التي قد تكشف سروالها لو حدث ووقعت مرة أخرى .

كما أن الحلة الجلدية غالية الثمن ، ولا يمكن أن تستخدم كزي عمل يومي . ومن ثم فقد استقرت على بنطلون واسع الرجلين ، وبلوزة فضفاضة كل منهما بلون بنفسجي زاه يماثل لون عينيها .

لم تكن تريد أن تكون لافتة للأنظار ، ولكن في نفس الوقت لا تبدو في مظهر يحط من شأن شخصيتها . وحياها موظف البوابة بابتسامة ودود :

- " إنه في صالة المسرح يا آنسة "ملجروف" ، تفضلي " .

وشكرته ومضت عبر الممر الذي أصبح مألوفا لها . ودفعت بالباب

داخلة إلى صالة المسرح . وكان المكان لا يزال كمخزن للأثاث ، وتذكرت تلك وهي تمضي خلف اللوحات الضخمة ، وكانت نفس قطعة الموسيقى التي أسمعها لها اليوم السابق ، وهي موضوع اول عمل ستشاركه فيه ، تصدح في المكان بانغامها ، معزوفة بواسطة قيثار متطور يعزف عليه احد مشاهير العازفين الأمريكيين . وانتعشت روحها مرة أخرى . وتملكها الحماس وهي تدرك أن فرقة "بارنسكي" الجديدة سوف تهز الوسط الفني باعمالها التي ستصبح حديث الجميع في المستقبل القريب .

وفجأة وجدت نفسها وسط بؤرة ساطعة من الضوء ، فتحركت مبتعدة وقد غشاها الضوء لحظيا . ثم ما لبثت أن انتهت لشبح أسود جالس على كرسي في مقدم خشبة المسرح كان وجهه مغطى بالظلال ، ولكن منكبيه العريضين وملامحه العامة كانت تقول إنه "بارنسكي" وكان جالسا وحده .

وبدأت تتحرك بخفة بحذائها المطاطي ، ولم تدرك انه غير منتبه لوجودها إلا بعد أن اقتربت منه ، ووقفت مترددة ، ودفعها شيء في سكونه لأن تمسك لسانها . بدا غارقا في أفكاره ، وبقع من الظلال على صفحة وجهه ، وشفتاه متقلصتان في مرارة ، وكانت عيناه الثاقبتان الممتلئتان بالحيوية ، مختفيتين في الظلال ، ولكنها توقعت أن تكونا حزينتين ، مثل الأنغام الشجية التي تملأ المسرح .

ولما كانت لا تدري كيف تقترب منه بعد أن صرفها باقتضاب على إثر انتهاء الموسيقى في اليوم السابق ، فقد آثرت الانتظار إلى أن انتهت المعزوفة .

- " حساسة تماما يا آنسة "ملجروف" . انا سعيد بحسن تذوقك للموسيقى . احضري لك كرسيا وهيا للعمل ." ولمعت عيناه بخبث ، تنفيان شكها انه كان في حالة مزاجية سيئة ، وترنحت تحت تاثيرهما الكهربي حين التقتا مع عينيها ، وأخذت نفسا عميقا ثم مشت بحرص إلى جانب خشبة المسرح ، واحضرت كرسيا ذا مسند مستقيم ،

وجلست عليه على بعد قدمين منه .

- " اقتربي اكثر ، فلست اريد ان اصيح عبر المسرح " . ورماها بابتسامة كابتسامة النمر جفلت لها ، ثم حركت كرسيها تجاهه بوصة واحدة ، وفتحت حقيبتها وأخرجت منها دفترا للرسم ، ثم اغلقتها بقوة متعمدة أن تظهر بمظهر ذات الكفاءة في العمل .

- " صباح الخير يا سيد "بارنسكي" . " قالت ذلك وكانما تعفيه من عبء تقديم تحية الصباح التقليدية . وكان من الأفضل لها أن تتمسك بما انتوته ، أن تكون على مسافة آمنة منه .

وجعلهما تركيزه الحاد مشغولين في عمل جاد إلى قرب الظهر بدون راحة . وملأت ملاحظاته الصفحات ، كلمات وعبارات ورسوم توضيحية . وجعلتها طريقته في شرح المشاهد قادرة على رؤيتها في مخيلتها . كانت متفجرة بالحركة ، مثله هو ، وأخذت الأفكار تومض من ذهنه لذهنها والضد بالضد . وحين اقترح فترة للراحة ، كانت قد انقطعت انفاسها ، واقفلت قلمها على مضض .

- " سوف نتناول الغداء مع بقية العاملين حتى تتعرفي عليهم . وبعدها سوف يخصص لك "فرانك" مكانافي مرسمه حيث تبدئين العمل. واراك في الصباح غدا مؤملا ان أجدك ولديك الكثير تعرضينه علي " .

- "حسنا " واغلقت دفترها في رضا " شكرا لك يا سيد "بارنسكي" لقد كان كل هذا ذا فائدة عظيمة " .

والتقطت حقيبتها ونهضت واقفة ، ولكن يده وقفتها بلمسة رقيقة ولكن حازمة . وشعرت بعظامها تذوب واهتز كيانها كله لحظة . ثم رفعت حاجبيها كان شيئا لم يكن .

قال برقة :

- " شيء آخر . لقد لاحظت انك تنادينه "فرانك" من قبل .."

وقاطعته :

- " آسفة ، لم اقصد أي عدم احترام ، وإذا اردت ، سوف انادية سيد

"شور.." "وضحك ضحكته العذبة التي سمعتها من قبل ، وقال :

- " انا متاكد انه لن يرضى عني لو تمسكت بتقاليد بالية . ما اردت ان اقول هو ان تكوني على راحتك ، ونتخاطب بالأسماء الأولى . وتناديني "هارلم" ، موافقة ؟ " وشد بقبضته على رسغها .

- " اه ، بالتاكيد يا سيد .. "هارلم" . "

وارخى قبضته عن رسغها :

- " لو كنت اطلب منك الكثير ، فلن اجبرك على ذلك " .

- " سوف احاول ان اتذكر ذلك ... يا "هارلم" . "

- " حسنا " وكانت عيناه وديعتين بدرجة مثيرة للدهشة " إنهم دائما يصفونني بانني وغد لا اتسامح في اثناء العمل . فإذا ما اشتد عليك العمل فاصرخي . إننا نعمل كفريق واحد ، وهذا يعني انه بإمكانك الصياح بين الحين والآخر " .

- " سوف .. سوف احاول أن اتذكر " وعضت شفتها إذ لم تتمكن من مجاراة تلطفه معها . وكانت لا تزال تحت تاثير لمسته لبشرة يدها . إنها سوف تعتاد ذلك بمرور الوقت . كل ما في الأمر انها ما زالت جديدة عليها ، وما تشعر به من وخز بداخلها ليس إلا للرهبة التي كانت تحملها تجاهه ، ليس إلا .

ولكن ، وكما حذرها هو ، إن ما هو اسوأ في الطريق ؛ إذ سالها وهي تستدير لتنصرف .

- " هل تكونين ملاكا ، وتعيرينني كتفك لحظة " .

ووقفت تنظر إليه متحيرة ، لا تفهم مدلول سؤاله هذا .

- " ما اعنيه هو .. " ومد يده ليمسك بذراعها " آسف " وبدا يجاهد ليقف على قدميه ، راميا ثقله عليها لحظة ، ومتفاديا النظر إليها ، وبدا من تقلص شفتيه كيف يكره هذا العجز الذي به .

وقالت على الفور :

- " لا باس ، استند كما تشاء ، فانا اقوى مما يبدو علي " . وكان وجهاهما متقابلين وقد بدا عليه ما يكابده من الم . بدا ذلك في عينيه ،

وفي الأخاديد العميقة حول فمه ، ثم وقف أخيرا ، شامخا عنها ، ويده لا تزال تحيط بخصرها .

- " يقولون إن الأمر سيكون أسهل بمرور الزمن ، ولكني لا استطيع الانتظار، ليس لانهم لا يعرفون ما يتحدثون عنه ، فانا اعلم اكثر منهم مدى سوء الحالة"

- " بالتاكيد " . وتحملت ثقله لحظات اكثر من اللازم ، واحس هو بذلك فابتسم قائلا :

- " كنت اعتقد انك ستلقين عليّ موعظة كما فعلت امس بالنسبة للشراب " .

وربت يدها ، وتحرك بعيدا عنها .

وخطت وراءه ، ولكن لمسته لها كانت قد انستها الحقيبة التي في يدها ، وقبل ان تتدارك الموقف كانت الحقيبة قد انفتحت ، وتناثرت محتوياتها من أوراق وأحبار والوان على مساحة واسعة من خشبة المسرح .

وتمتمت :

- " اللعنة " وانحنت تجمع حاجاتها . ورمقته بنظرة فوجدته متكئا على عصاه، ينظر إليها مبتسما .

- " الآنسة "ملجروف" جالبة الكوارث ، يبدو انه يجب ان اضع عيني عليك باستمرار " .

قالت وهي تعبئ الحقيبة في سرعة :

- " لن يحدث هذا مرة أخرى ، إنني .. " واعتدلت واقفة ، وجفلت لنظرته المشرقة ، التي سلطها على وجهها .

وضحك ضحكة رقيقة :

- " ساجده نوعا من التشجيع ان اعمل مع شخص يسبب الارتباك اكثر مني شخصيا . واعتقد ان مشاهدتك في فوضويتك المستمرة ستكون متعة في حد ذاتها " .

ومد لها يده لتاخذها قائلا :

- " هيا يا صغيرتي " .

واستراحت نفسها لمزاجه المنبسط ، ولفت ذراعها على ذراعه ليستند إليها ، وسالته وهما يسيران :

- " لقد كانت الحادثة منذ عام ، اليس كذلك ؟ " . واوما لها براسه موافقا .

- " منذ فترة طويلة إذن " ؟ .

- "يقولون إن علي أن أستريح لعام كامل . الأغبياء ، هل تصدقين ؟". ورفع حاجبيه في استنكار ..." لقد قلت لهم رايي في نصيحتهم تلك " . وضحكت " تيفاني" حين تخيلت كيف كان اسلوبه وهو يعبر عن رايه لهم .

وحين وصلا للباب المؤدي للممشى ، توقف لحظة ليتكئ عليه . وسالها :

- " خبريني ، اتتصورين أن هذا يقلل من كفاءتي ؟ " وكانت نبرة صوته تميل للسخرية ، ولكنها رأت في عينيه حزنا يخفيه وراء ذلك الاستخفاف في سؤاله .

قالت وهي تنتقي كلماتها بعناية ، متحاشية غموض سؤاله :

- " لست أدري كيف كانت كفاءتك في الماضي ، ولكن قد تجد عزاء حين تعلم أن اللورد "بايرون" لم يجد في الأمر مشكلة " .

وانفجر ضاحكا بصوت مرتفع :

- " اللورد "بايرون" ، مثال طيب ساتذكره على الدوام " .

- " ولكن لا تحتفظ بدب معك في المسرح" .

- " هل كان يفعل هو ذلك ؟ " .

- " هذا ما يقال عنه . فلم يكن مسموحا باصطحاب الكلاب والقطط في غرفات المحاضرات في الجامعة ، فتحايل حول هذا القانون باستئناس دب يصطحبه معه " .

وكان لا يزال يقهقه ، ثم انقلبت سحنته فجاة وبدت عليه المرارة ، وزمجر قائلا:

- " إنني اتصرف كدب هنا ، أليس كذلك ؟ دب روسي هل هذا ما تقصدين ؟".

واحمرت وجنتاها ونظرت مباشرة في عينيه :

- " سيد "بارنسكي" " ثم صححت نفسها بسرعة : "هارلم" لا يمكن إطلاقا .." وتوقفت لتحكم غضبها ان اخذ كلماتها على هذا المحمل السيئ ، واكملت في رقة : " لا يمكن ان تتصور انني قصدت هذا المعنى. أسفة إذا كنت قد اعطيت ذلك الانطباع . هل أسات في ذلك القول ؟ " .

- " على الضد ، لقد كنت مصيبة تماما " وفتح الباب واستعد للسير: " لقد قصدت فقط ان اعرف حقيقة شعورك ، ولقد وضحت لي نفسك تماما " ولم يفسر ما يقصد ، ولكنه استطرد : " إنني عاجز تافه، لا اتصور ابدا أن الأمر قد انقضى . إنها نقطة ضعفي ولا حيلة لي فيها".

قالت وهي تاخذ بذراعه بدون أن يطلب منها :

- " وكان "بايرون" يعرف هذا ايضا ، سوف اتذكر هذا على الدوام " .

وابتسم ابتسامة عريضة . وكانت شفتاه في مستوى جبهتها ، وغمرها إحساس عابر بأن تعابير عينيه تعني انه يفكر في تقبيلها . ثم توقف مرة اخرى ، وكان "فرانك شور" الذي استوقفه هذه المرة ، قادما من الشارع .

- " "تيفاني" ياللمصادفة السعيدة يا عزيزتي . أعتقد أنه بدأ يمارس وظيفة سائق العبيد معك بالفعل " .

- " إنه سؤال صعب يا سيد "شور" .." وكانت مضطربة الذهن ليد "هارلم" وهي تضغط بثقلها حول خصرها ، ولكن "فرانك" لم يلاحظ ، وحتى لو لاحظ ، فسيعلل ذلك بحاجة "هارلم" للمساعدة بدنيا . ومد له يده قائلا :

- " هاك ، وهيا بنا يا "هارلم" . لقد اخرجت السيارة ، كما أن " لانا " والآخرين في طريقهم بالفعل . هيا يا "تيفاني" ، إنه وقت الغداء " .

وتحرك الرجلان ، وتبعتهما "تيفاني" . كان ذهنها مليئا بالكثير مما تود أن تفكر فيه وهي تراقبهما سائرين . لسبب ما ارتفعت معنوياتها للسماء هذا الصباح ، وشعرت بانها و "هارلم" العظيم سوف يعملان معا في توافق ، وانها بعد ان عرفته اكثر ، سوف تغير انطباعاتها عنه . قد يكون سائق عبيد ، ولكنه حساس ايضا ، ذو روح مداعبة تجعل تعمده إثارة الغير أمرا غير محتمل . كل ما عليها هو أن تتحكم في اعصابها حين يلمس جسدها .

وربما كان ما تشعر من وخز داخلي للمسته ليس نتيجة نفور ، وإذا كان الأمر كذلك ، فإن حقل الالغام الذي حدثت عنه "جيني" يصبح اكثر خطورة . وإذ أحست بالسعادة لثقتها بنفسها، أخذت تستمر في سيرها تحت الشمس الساطعة متجهة للسيارة المنتظرة .

كان المطعم الذي اختارته المجموعة روسيًا ويقع في احد الشوارع الخلفية للحي الشرقي من لندن .

ودهشت "تيفاني" حين توقف "فرانك" بسيارته "الجاجوار" اللامعة امامه ، وبينما توجه هو ليجد موقفا لسيارته ، أخذت تتطلع إلى قائمة الطعام بالخارج . كان نصفها مكتوبا باللغة الروسية ، والنصف الآخر ترجمة باللغة الإنجليزية .

وقال "هارلم" وهما ينتظران "فرانك" :

- " اتعشم ان يعجبك الطعام . إنهم يفهموننا هنا ، ولا تدهشي إذا رايت جيشا من الراقصين النهمين ليلا او نهارا " .

- " لا أتصور أن الراقصين ياكلون كثيرا " .

- " لا تنخدعي.إنهم ياكلون كالجياد . لكل هذا القفز منهم " وابتسم: "إنهم قوم اشداء ، ولست أول من تخدع بمنظرهم الأثيري " .

وأخذت تتامل صدره العريض ، ولم تتمالك نفسها من الابتسام .

وقدم "فرانك" وساعد "هارلم" في الدخول . وحياهما صاحب المطعم بذراعين مفتوحتين ، وشد على يد "تيفاني" بكلتا يديه حين قدمها "فرانك" له . وكانت تفوح في المكان رائحة ذكية من المطبخ ، وأخبرتها

الضوضاء المنبعثة من مائدتين متلاصقتين في الوسط أن الجمع قد اكتمل وازال عن صدرها رهبة دخول المكان لأول مرة ما استقبلوها به من روح ودود كما لو كانت تعمل معهم من زمن طويل . وكان الإعجاب بـ "هارلم" واضحا من الجميع ، رجالا ونساء على السواء ، ولاحظت "تيفاني" ابتسامة الإغراء التي ظلت توجهها له راقصة الفرقة الأولى ، "سفتلانا" عبر المائدة . وطلب "فرانك" منه أن يترجم لها القائمة وحين بدأت الطلبات ، ادركت "تيفاني" أن الأصناف تدور أساسا حول كميات وافرة من اللحم والبطاطس والخضراوات .

وأبدت "تيفاني" ملاحظتها لـ "مارجريت" المواجهة لها :

- " كميات ضخمة من السلطة الروسية " .

وكان الطبق امامها كومة عالية منها . وتساءلت "تيفاني" كيف سيزيد وزنها باطراد لو استمرت تتناول الطعام مع راقصي الفرقة .

وكان "هارلم" يراقب تعابير وجهها متلذذا . ثم قال بابتسامة ماكرة :

- " يمكنك أن ترقصي دائما ، أم أن هذا ضد مبادئك ؟ " .

وفهمت المغزى المزدوج من عبارته ، ولكنها لم تكن واثقة تماما من قصده ، قالت :

- " إنني ارفض دائما ، كما سوف ترى بنفسك " ورأت انها بذلك قد بينت له أنها ليست لينة العريكة ، وتحاشت ابتسامة السرور على وجهه .

ولم تتمالك نفسها من التعجب ، وهي تلقي بالنظرات حولها ، حول علاقة "هارلم" بكل الموجودين . "لانا" كانت جميلة ، غاية في الرشاقة ، ذات عينين مسحوبتين اشبه بعيون القطط ، وفتنة طاغية جعلت "تيفاني" تشعر بنفسها إلى جوارها بدينة وثقيلة الدم . كما أن "مارجريت" ، محاسبة الفرقة ، جذابة تشع صفاء . ورأت "تيفاني" في أي من الفتاتين ما يكون مناسبا تماما للتعلق بذراع "هارلم" . اما من الرجال ، فقد كان واضحا أن "موريس" هو النجم . وكان في بطء حركاته ما يثبت ما قاله "هارلم" عن راقصيه . كان صدره العريض

باديا من فتحة قميصه ، مفتول العضلات . وكان منهمكا في رواية عن جولة له مع فرقة أخرى .

ومال إليها "فرانك" :

- " امر محير ، أليس كذلك . عليّ أن أعود للوراء خمسة عشر عاما لأتذكر أول عمل لي مع جماعة كهذه . انتظري حتى تشاهدي .. التعثر في تجارب العرض حين يبدو كل شيء وكأنه لا يسير في طريقه السليم ، ثم التوتر ليلة الافتتاح ، حين يكون كل فرد قد وصل لنقطة الانهيار ، وأخيرا الزهو بالنفس حين تكتشفين أنك اكتسبت أصدقاء وغيرت من حياة آخرين . هل تعتقدين أنك مستعدة للبقاء معنا ؟ " .

قالت وقد تملك الحماس نفسها :

- " بكل تاكيد ، لو كنتم على استعداد لضمي إليكم " .

وتململ "هارلم" ، متبرما من حديثه مع " مارجريت " . والتفتا معا في نفس اللحظة ، ورات في عينيه الداكنتين تساؤلا مبهما . ولاحظت شفتيه تتقلصان لحظة قبل أن يستدير ليكمل حديثه .

وتفسيرا لما أصابها من بلبلة لهذه النظرة منه ، اعتبرتها نتيجة سوء فهم لما كان يدور بينها وبين "فرانك" من حديث . فهي لم تكن قادرة على أن تعرف ما يجول بخاطره ، ولكنه مهما كان ، فواضح أنه لم يكن يروق له . وعاد التوجس ينتابها ، فعضت شفتها . إنه ليس بالإنسان السهل . إن به شيئا من السوداوية كامنة في أعماقه ، تظهر فجاة في لحظات غير متوقعة وتجعله في خطورة الفهد الذي تخيلته في أول مقابلة بينهما .

ولكن هذه اللحظات من الضيق سرعان ما تلاشت ، بل وجدت نفسها لا تبالي حين كانت يده تحتك بيدها عرضا . وكان يتناول كأس الشراب مرة أخرى ، ولاحظت هي هذا بقلب منقبض ، متسائلة إن كان يدرك مدى صدمتها لذلك .

وانفرط عقد الجمع في حوالي الثالثة . وسألت "فرانك" :

- " أهذا الغداء أطول من المعتاد ، أم هو أمر طبيعي أن يأخذ كل هذه

المدة" .

قال لها مبتسما وهما يتجهان للسيارة :

- " لقد عرفت ما هو أطول . ولكن لا تتوقعي أن يحدث هذا كل يوم . إنه يعلم متى يكونون في حاجة للتسرية عن النفس ، ومتى يمكنه أن يعتصرهم . بالنسبة لـ"هارلم" ، كل شيء له غرض محدد . وهو يمسك بالسيطرة في يديه تماما " .

قالت وهي تحتل مقعدها :

- " هذا ما أعتقده . نعم ، ما أعتقده " .

الفصل الخامس

كما اخبرها "هارلم" ، خصص لها "فرانك" مكانا في مرسمه تمارس فيه عملها. وكان عملها مستقلا عنه بالتاكيد . فهي تعمل لفرقة "هارلم" بينما يعمل "فرانك" للفرقة القومية للباليه . وكان مكانا مثاليا لـ"تيفاني" ، إذ كان بمقدورها أن تحصل على ما تريد من معاونة في مرسم مشغول كهذا . وقدكان "فرانك" نفسه غاية في الكرم ، لم يضن عليها بوقت أو نصح ، وكان مساعداه مرحبين تماما بما تسالهما عنه من مشورة . وكان المكان مرتادا على الدوام باناس يدخلون ويخرجون . اما عن نفسها ، فبعد أن شرحت افكارها في اليوم التالي لـ"هارلم" كطلبه ، لم يظهر لها بعد ذلك ، وبدا راضيا أن يجعل الأمر كله بين يديها بدون تدخل منه .

وكانت تعلم انه مشغول بتجارب العرض في البناية المجاورة ، والتي علمت من "فرانك" أن "هارلم" قد انقذها من أن تكون ملهى ليليا ، إذ اشتراها من عدة شهور . وقدصاحت وقتها في دهشة :

- " ولكن ذلك ربما كلفه ثروة طائلة " . فرد عليها "جاسون" ، اليد اليمنى لـ"فرانك" مبتسما ، وكانوا يحتسون القهوة في فترة راحة :

- إن "هارلم" بإمكانه شراء الكرة الأرضية ، لو استدعت منه نزوة من نزواته ذلك . لو كان "هارلم" إنسانا عاديا ، محبا للهو ، لاكتفى بقضاء بقية عمره في العبث والمجون في جنوب فرنسا " .

وسالت :

- " ولماذا لا يفعل ذلك ؟ "

- " لانه عبقري ، الم تلاحظي ذلك ؟ والعباقرة لا يتقاعدون ابدا " .

واضاف "جافين" المساعد :

- "ولا ينطفئون ابدا . على الاقل ، لا اتصور "هارلم" ينطفئ يوما ما "

وقالت "تيفاني" :

- " كما اظن انهم يحرقون انفسهم تماما " .

- " لقد حاول ذلك ، وكاد ينجح " .

- " اتقصد حادثة ؟ "

- " لقد كانت الضربة الأخيرة " .

ونهض كارها ان يقول المزيد كنوع من الولاء لـ"هارلم" . إنها لا تزال غريبة .

ولم تنكر عليه ذلك ، وإن كان قد اثار فضولها . فرغم أن "هارلم" بدا صريحا في الحديث عما المّ به ، فإن شعورا داخليا كان يقول لها إنه لم يقل إلا اقل القليل . ربما ليس هناك الكثير ليقال . فالحوادث كثيرا ما تحدث . ولكن المأساة تكمن في تصرف الضحية بعد ذلك ، إن كان مستعدا أم غير مستعد للتعامل مع نتائج ما حدث .

* * *

وانقضى الأسبوع سريعا ، وحصلت على إذن لتذهب للمعهد للوداع، وبدا لها هذا الأسبوع دهرا منذ ان كانت في ذلك المكان كطالبة ، تسلم واجباتها ومشروعاتها في رجاء، وتنتظر بقلق يوم تخرجها وها هي الآن تواجه الحياة، إذ سيقاس نجاحها بمعايير اخرى ، اولها

حين يقتنع "هارلم" باعمالها ، وبعدها حين يقيمها المشاهدون الذين يدفعون من جيوبهم لمشاهدتها ، وبعدهم النقاد . وكان باقيا على حفلة الافتتاح عشرة أيام لاغير ، ولم تكن - مصدقة إلى تلك اللحظة - ان "هارلم" قد اولاها ثقته في تحمل المسؤولية كاملة . وحين ذكرت هذا لـ"فرانك" ، اكتفى بالضحك قائلا :

- " الطريقة الوحيدة لأن تتعلمي يا حبي ، هي أن يلقى بك في العمق " .

وكان عليها أن تكون راضية بذلك .

اعارتها "بات" كتابها عن التفكير السديد ، والتي اقتنعت بانه افادها منذ أن حصلت أخيرا على ما كانت تنتظره من وظيفة ، وقالت :

- " إننا لن نستمر طوال حياتنا في مسكن طلاب مشترك . فسرعان ما سنتفرق ، كل إلى حيث يقتضيه عمله " . وقضين ليلة مشحونة بالعواطف ، يتذاكرن فيها بحنين ايامهن الخوالي ، ويتواعدن على استمرار الاتصال حين يحدث ما لا مفر من حدوثه .

وارادت "جيني" معرفة آخر اخبار "بارنسكي" ، فقالت لها "تيفاني" :

- " ليست هناك آخر اخبار يا "جيني" ، فانا لم اره منذ لقائنا الثاني، حين عرضت عليه خطة العمل . وانا منتظرة منه أن يستدعيني في أية لحظة " .وعضت شفتها : " كل ما ارجوه أن يقبل العمل ، إذ إنه لن يكون لدينا أي وقت للتغيير إذا لم يعجبه " .

قالت "بات" :

- " لابد انه واثق منك " .

وعبست "تيفاني" :

- " إما هذا ، وإما انه اختبار من نوع ما . إني اتذكر ما قاله في أول لقاء لنا . "كل شيء مؤقت بطبعه" ، وكان يقصد وظيفتي ، وأنا متاكدة انه سوف يلقي بي خارجا إذا لم أحقق المستوى المنشود . " كانت تتكلم ببساطة ، ولكن اعصابها كانت تزداد توترا كلما مر يوم بدون أن يصدر عنه أي رد فعل .

وقالت في صباح اليوم التالي :

- " "فرانك" ، لقد فعلت كل ما في وسعي ، ووصلت إلى مرحلة الدوران في دوامة . لابد أن احصل على موافقة "هارلم" قبل إرسال التصميمات لورشة النجارة . إن الوقت يتناقص بسرعة رهيبة " .

ورفع فرانك رأسه عن رسمه :

- " الم يتصل بك إلى الآن ؟ " .

وهزت رأسها .

- " لقد كان يسأل عن اخبارك منذ ثلاثة او اربعة ايام . ويدهشني انك لم تسمعي به للآن . ولو كنت مكانك لذهبت إليه باسرع ما يمكنني " .

وكانت "تيفاني" عند الباب بعد ثانيتين فقط . وقطعت الشارع ركضا ، واستدارت عند الناصية ، وصعدت السلم درجتين إلى باب المسرح . هل كان "هارلم" منتظرا منها أن تخبره هي بانها قد أنهت العمل ؟ لو كان هذا حقا ، فمعنى هذا أن الوقت قد ضاع هباء .

فهي لم تكن تنام مستريحة منذ أن احست بان العمل قد اكتمل ، وتلا ذلك وقت ممل قضته في وضع لمسات كانت تعلم تماما انها لا داعي لها .

وقال لها رجل البوابة شيئا لم تتوقف لتستوضحه . إنها تعلم أن "هارلم" موجود ودفعت الباب ، ودخلت .

كانت الموسيقى تصدح بالنغم الأساسي الذي سيتفجر منه المشهد بعد ذلك . واعتراها شعور لثوان أقرب للأسف ، بان شعور التقارب الذي شعرت به عصر ذلك اليوم لا يزال على ما هو عليه . ثم دوى صوت اجش فجاة .

- " من هذا بحق الجحيم ؟ الم أعط التعليمات بالا يدخل أحد ؟ " .

كانت "تيفاني" قد وجدت نفسها في بؤرة مركزة من الضوء فوق خشبة المسرح ، مسلطة فوق ثلاثة من الراقصين ، كانت اجسادهم الرشيقة متشابكة في وضع سرعان ما انفرط عقده لحظة أن دوى

صوت "هارلم" . وقطع احد الموسيقى ، وجاء "هارلم" نفسه يعرج إلى خشبة المسرح ، حاميا عينيه بإحدى يديه .

واعلن في صوت مليء بالاستهزاء :

- " آنسة "ملجروف" ، من غيرها ؟ لقد ظننت انك قد توفيت . " ورأت فمه ينغلق ، ثم يستدير بدون أن يتحرك من موضعه . واعلن بصوت مرتفع :

- " اصدقائي ، إلى أولئك الذين لم يسعدوا بعد ، اقدم لكم مصممة مناظرنا ، الآنسة "تيفاني ملجروف" . نعم . لقد امتدت ميزانية الفرقة إلى هذا الحد ، وإن بدا الأمر محيرا لبعضكم انه لم ير في الميزانية ما يوحي بهذا البذخ . ولكني أؤكد لكم أن هذا لم يكن في نيتي من البداية، ولكن الظروف اجبرتني على أن اعيد النظر . " وصمت ، وشعرت "تيفاني" بعينيه تخترقان جسدها .

وركزت عينيها في عينيه ، وتقدمت منه . وكانما توقع منها اعتذارا، رفع لها يده :

- " إنها فرصة سعيدة لنا جميعا . اعتقد انه آن أوان الراحة . عشرون دقيقة لكل إنسان " ودق بعصاه على خشبة المسرح .

وساد المكان الهرج والمرج في اثناء إخلاء المسرح ، واختفى الراقصون الثلاثة في لمح البصر .

وسالها فور أن اصبحا وحدهما :

- " أين كنت تلعبين بحق الجحيم ؟ الا يمكن لك أن تساريرينا في العمل ؟" .

وابتلعت ريقها بصعوبة ، ولكنها اجبرت نفسها على الاقتراب منه حتى لا تضطر لرفع صوتها وقالت :

- " لقد انتهيت منذ أيام ، وظننتك مشغولا ، وظننت انك سوف تخبرني متى تكون مستعدا لرؤياي " .

- " لا اصدق ذلك ! أتحاولين أن تقولي إنك كنت جالسة في اطمئنان في مرسم "فرانك" ، مجرد جالسة هناك ... منتظرة ان يستدعيك أحد ؟".

- " ماذا كنت تتوقع مني غير ذلك ؟ " .

وزار عابسا :

- " ماذا غير ذلك ؟ ما هذا بحق الجحيم ؟ أتظنين نفسك في روضة أطفال؟ . إنه مكان عمل يا انسة "ملجروف" العزيزة . إن لدينا عرضا على الأبواب ، ونحن فريق عمل ، نتعاون معا ، ولا نجلس على مقعدتنا ننتظر من المدرس أن يقول لنا ماذا تكون الخطوة التالية ! " ولم يتحرك في اتجاهها . ولكنها كانت متيقنة انه لو كان حر الحركة لتقدم منها وامسك بتلابيبها وهزها هزا عنيفا ، يتناسب مع مقدار غضبه . إنها لم تر في حياتها إنسانا يعبر عن مثل هذا القدر من الغضب ، بدون أن يحرك عضلة واحدة . واحست بنفسها تنتفض ، ورفعت يدها، وقالت باستكانة :

- " لقد حضرت فور أن عرفت أن علي أن افعل . لماذا لم تقل لي إن علي أن احضر إليك حين انتهي ؟ " . وكانت في داخلها تشعر بانها مخطئة ، عارية عن اي دفاع . لماذا كانت بهذا القدر من الغباء ؟ .

- " يبدو انك ما زلت تحت تاثير انطباع خاطئ بانك في منزلك ، لمجرد انك قدمت من المعهد إلى هنا مباشرة . ولكن هذا ليس مكانا للاسترخاء كما تعتقدين . يبدو أن "فرانك" كان تحت تاثير عواطفه حين اختارك .. لقد رايت فيك البدانة اول مرة ، وانا لا اثق بإنسان بدين واستمر في حديثه اللاذع : " إنك إنسانة مرفهة يا "تيفاني" وهذه هي مشكلتك . إن الحياة ليست هبة سهلة ، عليك ان تقاتلي بكل شراسة ، ولن تفعلي ذلك حتى تذوقي الجوع " .

وامكنها ان تتكلم وهي تمسح بيديها فخذيها بعصبية ، تتمنى لو تختفي من امامه :

- " لست ادري شيئا عن كل ذلك . كل ما اعرفه انني انهيت العمل منذ ايام ، وكنت اعتقد .. "

- " لست اهتم بما تعتقدين ! إنك تاخذين مرتبا . إن هؤلاء الراقصين يجب ان يروا المشاهد ، وكانوا يتدربون بدونها . رغم انهم

بإمكانهم أن يرقصوا على الماء لو طلب منهم ذلك " ثم توقف قليلا " اين هي ؟ " .

- " النماذج ؟ " .

- " بالتاكيد النماذج . ماذا تظنين انني اعني ، هدايا بابا نويل ؟ " .

- " إنها في الاستوديو " .

- " إذن احضريها " وكان ينطق العبارة بتؤدة كما لو كانت متخلفة عقليا .

وغمرها إحساس عميق بالرعب خوفا من ان تكون قد اساءت الفهم . هل يطلب منها فعلا أن تحمل له كل النماذج واللوحات من المبنى الآخر. وبدات تقول :

- " الن تاتي انت وتراها بنفسك ؟ " .

- " اجادة انت ؟ " .

وتراجعت حتى اصطدمت بحاجز وراءها فاهتز بشدة ، وغمغمت :

- " حسنا " .

- " يا للعنة السماء ! إني لا اتحمل ذلك " واستدار بسرعة مذهلة واختفى وراء جانب الستارة صائحا :

- " اخبروها ان تحضر خلال خمس دقائق ، وإلا فإلى الخارج "

وظهر لها احد المساعدين من حيث لا تدري . فقالت له قبل ان ينطق بكلمة :

- " حسنا ، لقد سمعت "

وانطلقت باسرع ما يمكنها من المسرح وإلى الشارع ، وكان الذئاب تطاردها.

وحدثت نفسها: " لماذا لم يوضح لها انه يريد أن تحضر له الأشياء؟ إن هذا ليس عدلا . إن عليها الآن ان تعرض عليه اعمالها وهو في اسوأ حالة مزاجية ، وسوف يكون حساسا لاكتشاف أية غلطة . رباه ، رباه . لماذا لم افكر من البداية انه يريد مني إحضارها له ؟ وكيف كنت ساعرف انه يتوقع مني ان آخذ الخطوة الأولى ؟ " .

واندفعت للمرسم غير منتبهة لنظرات الشابين المحملقة . وجمعت النماذج ، واحدا فوق واحد بلا عناية ومشت تترنح للخارج .

وسالها "جافين" :

- " اتريدين مساعدة " .

قالت :

- " يريد مني "هارلم" ان احضرها له ، وإلا طردني " . ولم يكن ذهنها صافيا لتعبر عن ذلك بطريقة اخرى .

ولم يبد على "جافين" انه وجد في إسراعها المحموم هذا امرا غريبا ، وحمل عنها نموذجا ومشى وراءها محتضنا إياه بعناية .

وقال وهما يسرعان الخطى :

- " إن الهيستريا تدب دائما قبيل الافتتاح ، وتكون اعصاب "هارلم" متوترة للغاية . وعليك ان تتحملي هذا بدون قلق " .

وردت عليه :

- " وعلي ايضا ان اتحمل إعصارا هائجا . شكرا لك على اية حال " .

ودفع لها الباب ، وساعدها ان تحتفظ بتوازن ما تحمله .

وتركها واقفة وسط خشبة المسرح ، وكانت تتوقع ان تجد "هارلم" في وسطها يحملق إليها ، ولكن المكان كان خاليا .

وتطلعت بدون جدوى بحثا عن مكان مامون تضع فيه نماذجها ، ولما لم تجد بدات تضعها على الأرض بحرص . ولم تدرك إلا بعد ان انتصبت واقفة ان "هارلم" كان يراقبها من جانب المنصة .

وقد عبر عن وجوده بتصفيق بطيء من يديه وهو يقف . ووقفت هي انتظاراً لما سيحدث .

وتقدم إليها داخلا منطقة الضوء . كان يرتدي "تي - شيرت" ، وبنطلونا اسود ملتصقا ببدنه تماما ، بدون ان تظهر اي علامة لكسر على رجليه . ثم توقف يصعّد فيها بصره .

وقال هازئا :

- " تهنئتي ! طبقا للمشهور عنك ، إنها معجزة انك لم تلقي بالنماذج

كلها لتتحول إلى كومة من الخشب المتناثر . اقسم إن انفاسي توقفت إلى ان انتهيت" ثم اخذ عدة خطوات عرجاء تجاهها ، ولاحظت انه يتكئ بقوة على عصاه .

ثم توقف . واشار بعصاه لأحد النماذج قائلا :

- " قربيه لي حتى اراه . اعتقد انه رقم واحد " .

وانحنت بدون كلمة ثم رفعته بحرص ، وبدون ان تنظر لـ"هارلم" ، تقدمت إليه . وتطلع إليه "هارلم" طويلا بإمعان . وبعد وقت كانه دهر ، لم يزد على ان قال :

- " التالي " .

وبدأ النفور يغلي داخلها مرة اخرى ، وشعرت بالوخز يملا جسدها ، ووضعت النموذج التالي تحت قدميه طائعة . ودفع بعصاه إلى داخل النموذج قائلا :

- " ما هذا ؟ " .

- " إنها الستارة الحريرية التي طلبتها " وكانت قد استخدمت الورق بدلا من الحرير ، ولكن مع تمثيل كامل للواقع .

- " حسنا ، فلنر النموذج التالي " .

وللمرة الثالثة ، ابتعدت وهي تشعر بالكراهية له . واحضرت النموذج الثالث ووضعته تحت قدميه طائعة .

وطال الصمت أكثر هذه المرة ، ثم قال :

- " سوف نتحدث عن هذا فيما بعد ، فقد انتهت فترة الراحة . يمكنك ان تظلي هنا وتشاهدي تجارب العرض من إحدى المقصورات ، لو كان باستطاعتك ان تصعدي إلى واحدة منها بدون ان تحطمي المكان" .

واستدار بدون ان ينظر إليها ، وقرع الأرضية الخشبية ثلاث مرات بعصاه ، فامتلأ المكان على الفور براقصين في ملابس رقص مبهرجة . وامتلأت إعجابا بانتظامهم ، وصعدت إلى إحدى المقصورات لتنزوى وحيدة .

هل اعجبه عملها ام لا ؟ بدات تغلي داخلها للسؤال . اهي إشارة سيئة ان يقول إنهما سوف يتحدثان فيما بعد ؟ وحاولت ان تسترجع وقع نبراته وهو يقول هذه العبارة الموجزة ، تريد ان تستنبئ نوع الحكم ، ولكن كل ما تذكره هو انغلاق شفتيه بقوة ، وتقوس حاجبيه ، وعظام وجنتيه التي تدل على عنصر اجنبي ، وادركت فجاة ان ابتعادها عن المسرح كان محاولة متعمدة للابتعاد عنه، خوفا من مقابلته وجها لوجه . وبدا لها بما لا يدع مجالا للشك ان عقلها قد خدعها ، واوقعها في هذه الورطة .

وحين قابلته وجها لوجه ، ادركت انها مجنونة به ، كما قالت "جيني" مازحة منذ عدة ايام . وايقظت مقابلته مرة اخرى كل ما تحسه نحوه، وكان هذا اخر ما تتوقعه . إنها لم تصادف شيئا كهذا طوال حياتها ، شيئا اشبه بالقفز من قوقعة باردة إلى جحيم ملتهب .

وتابع الراقصون خطواتهم الرشيقة ، وحاولت جهدها ان تركز على حركاتهم، ولكنها لم تكن ترى سوى "هارلم" ببصرها وبخيالها ، متكئا على عصاه في الظل من جانب المسرح ، مركزا ذهنه تماما على راقصيه، وراته يشير إشارات تدل على حركات كان يبدعها يوما ما . واحست بعظمته ، وشاهدته يغير زاوية اقدام الراقصين ، ليتحول انسياب الحركة ، ورات كيف يستجيب كل فرد لاوامره الصامتة في رشاقة ويسر .

وحاولت ان تحفر في ذهنها كل ما يبدو منه امامها بادق التفاصيل، تحت الاقتناع بانها اخر لحظات لها مع الفرقة ، في محاولة لتذكر كل شيء عنه .

وفكرت في تعاسة : " لقد خيبت امله فيها . هذا كل ما يمكن ان يقال، فهذا امر غاية في الوضوح . لقد قال إنه يريد نجاحا مائة بالمائة ، وهي اعطت كل ما لديها ، ولم يكن كافيا " .

وسمعته ينهي تجربة العرض . وانصرف كل فرد ، ووقف هو برهة على خشبة المسرح وحيدا ، وقد بدا الإجهاد على وجهه . ثم ظلل عينيه

بيده ، مدققا نظره في الظلام المخيم على المقاصير وناداها :

- " انسة "ملجروف" هل ما زلت هنا ؟ " .

واصدرت صوتا لم تدر إن كان سمعه ام لا .

- " هلا تلطفت وحضرت إلى هنا " فردت بصوت متحشرج :

- " اتية حالا " .

ونزلت إلى الارض ، ثم صعدت خشبة المسرح بسرعة .

وراقبها وهي تقترب منه بابتسامة ساخرة :

- " إنك تعلين شان العاملين في الورشة لدينا . نسال الله ان يكونوا على مستوى توقعاتك " .

- " عفوا ؟ " .

- " لست امانع في دفع اجور إضافية ، ولكن ، إذا كان عملك جاهزا من ايام كما قلت فليتك احضرته وقتها حتى يتمكن العاملون من إنجازه بدون مطالبات مالية إضافية . على العموم انا متاكد من النتيجة " .

وردت متلعثمة :

- " لست فاهمة " .

- " ربما تكون اللغة الروسية افضل " وانهال عليها بسيل من العبارات غير المفهومة وعيناه تمسحان وجهها المتورد بسرور خبيث.

ثم توقف وقال برقة :

- " لا تتصوري انني تراجعت عما قلته سابقا ، من انك عشت حياة مرفهة . ولكن إذا كنت ستعطين - حقا - اقصى ما لديك ، فعلينا ان نفعل شيئا لنكسر تاثير الشر الذي يحيط بك ، اليس كذلك ؟ " .

ولم تستطع سوى ان تحملق إليه . كان هذا يتجاوز فهمها .

وقال بحزم :

- " هيا للورشة . إنك لا تقولين شيئا لي ، ربما تكونين اكثر طلاقة مع النجارين " .

وسالته بتردد :

- " هل معنى ذلك انك قبلت ما عملته ؟ " .

- " اعتقد انه عمل ماهر بقدر كبير . لقد كان "فرانك" على حق " ومد لها ذراعه : " هل تسمحين ؟ " .

واخذت بذراعه وقد دار راسها ، لا تدري إن كان يتكئ عليها أم هي التي تتكئ عليه . كل ما كانت تفكر فيه هو أن معجزة قد وقعت . لقد اعجبه عملها ! "هارلم بارنسكي" وافق على عملها ! وشعرت بانها يمكنها ان تكون امة له مدى الحياة . له ان يقول ما شاء عن قوامها وليس امامها إلا ان تتبعه بإخلاص إذا شاء هو ذلك .

* * *

بعد ان غادر الورشة ، استدار لها "هارلم" عند اسفل السلم المؤدي لشقته ، وقال معترفا باريحية :

- " إنني اسحب كل ما قلت . لقد كنت غاية في المهارة . والآن ، ماذا لديك للغداء ؟ " .

قالت وهي لا تزال نشوى بإطرائه لها :

- " لدي بعض الشطائر ... " .

- " دعك منها وهيا صاحبيني على الغداء " .

- " شكرا لك " وتقدمته . ثم توقفت ليلحق بها ، وغمرها شعور جارف وهو واقف بطوله الفارع على بعد بوصات منها ، وشعرت بنفس السحر الذي يجذبها له والذي أحست به من قبل ، ومدّ لها ذراعه ، وعلمت انه لن يكون هناك رنين تليفون ، أو "فرانك شور" يقطع عليهما صحبتهما .

ومد يده واحاط خصرها بذراعه ، ثم اسند راسه إلى كتفها برهة ، ثم رفعه وقال :

- " خبريني يا "تيفاني" هل كنت تتحاشين مقابلتي " .

وحاولت ان تبتعد عنه ، ولكنه امسك بها بقوة ، وقالت :

- " كنت اتصور انك انت الذي يحاول ذلك " .

واخيرا ، قال مقرا :

- " نعم ، يبدو انني كنت افعل ذلك عن غير وعي مني " .

وتملصت منه ، ورجعت بظهرها قائلة :

- " إياك يا "هارلم" " .

- " أخائفة انت ؟ " .

- " إنني لا اعرفك . كما انك قلت اشياء فظيعة عني .. إنني بدينة .. وبهذا فلست من الطراز الذي يروق لك " .

واطلق ضحكة خشنة بجانب وجهها :

- " يا للجحيم ، اهذا ما يقلقك . إنك لست بدينة ، بل غبية . فوزنك لا يزيد على وزن راقصتي إلا قليلا " .

- " ولكنك قلت إني كذلك " .

- " إنما كنت اقصد المعنى المجازي . الم يرد في رواية "يوليوس قيصر" في ادبكم عبارة : " اريد اناساً رشيقين من فرط الطموح " ؟ هيا بنا " .

وتبعته وهي تشعر بان من الواجب ان تقاومه .

الفصل السادس

دفع "هارلم" الباب بعصاه ، وصاح :

- " بابوشكا ! "

ودخل "هارلم" ، وسمعت صوتا مفعما بالإثارة يردد عبارات لم تفهم منها شيئا وهي تتبعه ، وحين وصلت المطبخ ، وجدته رغما عن عاهته، يحتضن من كانت في المطبخ ، ويرفعها رغم محاولاتها المستميتة للتخلص منه . ثم انزلها مبتسما .

وواجهت "تيفاني" المراة ضئيلة الحجم وهي تمسح دموع عينيها الدقيقتين من الضحك ، وتزيح خصلة شعر عن جبينها وتومئ لـ"تيفاني" محيية .

وابتسم "هارلم" قائلا :

- " كنز قلبي .. ولا تتكلم كلمة واحدة بالإنجليزية . "

ثم احتضنها مرة أخرى ، فبدت كقزم داخل جسده الضخم ، واضاف:

- " ولكنها كروسية تتحدث بلغة المطبخ العالمية بطلاقة ، كما ستكتشفين بنفسك حالاً " ورطن لها شيئا بلغته ، فاستدارت متجهة للفرن لتخرج منه وعاء .

وانتابت "تيفاني" مشاعر مختلطة ، الرغبة الجامحة للمسته ، والارتياح لان لحظة المواجهة لم تحن بعد . فهي من جهة لا تسمح بان تضع نفسها تحت تصرف نزواته ، ومن جهة اخرى لا تعرف كيف سيمكنها مقاومته ، فلمسة منه كفيلة بان تذيبها تماما .

وابتسمت في ارتياح لـ"بابوشكا" متوردة الخدين ، وتمنت أن يكون وجودها دائما .

وكان "هارلم" يمسح وجه "تيفاني" المتورد :

- " قليلا من الشراب مع الكافيار ، ويكون لدينا وقت لكي يعرف كل منا الآخر . اليس كذلك ؟ " ولمعت عيناه وهو يرى ملامح وجهها ، وقال: " إن الوصيفة موجودة بالمطبخ يا آنسة "ملجروف" فماذا تريدين فضلا عن ذلك ؟ " .

وسمعت نفسها تريد أن تضحك ضحكة رقيقة ، ولكن الضحكة بدت مهزوزة وابعد عن أن تقنع احدا . ومع نظراته التي تخترق جسدها ، فتمزق حشاياها تمزيقا ، كانت تدري انها لا تخدع أحدا سواها .

وتقدمها متكئا على عصاه قائلا :

- " تعالي " وكان سريع الحركة لدرجة انها اسرعت لتلحق به .

ودفع باب غرفة الاستقبال بعصاه ، واشار براسه إلى خزانة المشروبات وقال :

- " اسف أن اطلب منك ان تقومي بخدمتي " والقى بنفسه على اريكة جلدية واغمض عينيه ... " يا للجحيم ! إنني في قمة الإجهاد ، وسوف يستمر الوضع هكذا إلى الافتتاح . لقد كنت قد بدات افكر في الاستغناء عن المناظر حين لم تظهري ، واسال "فرانك شور" أن يجهز شيئا سريعا للعرض بدلا منها . اسف يا "تيفاني" ان اسات الظن بك " وفتح عينيه حين احس بها تقترب منه .. " لقد كان "فرانك شور" على

حق ، وانا على خطا " .

وتساءلت إن كان يقصد انه على خطا في كل النواحي ، ولكنها لم تجد في نفسها الشجاعة لتساله .

وتناول الكاس التي كانت تمد يدها له بها ، وافرغها في جوفه دفعة واحدة ، ووقفت هي دقيقة تتساءل إن كان تجاوزا لحدودها ان ابدت اي تعليق على ذلك. وقرا ما في ذهنها :

- " ما الخطب ؟ إنني اراعي هذا ، وانت تعلمين . إن الامر لم يخرج من يدي، وليس- دائما - ضروريا " ثم نظر لكاسه الفارغة :

- " فلتكن هذه آخر كاس إلى المساء ، موافقة ؟ " .

قالت وهي تجلس على طرف الاريكة بكل حذر :

- " لست ادري حجم ما تتعرض له من ضغط ، وليس لي الحق في الحكم ، ولكن .. " .

- " ليس هناك من هو اكثر اهتماما بقوامي مني ياحياتي . إن اهتمامك بالامر يمس شغاف قلبي " ومد يده لها .. " شكرا لك " ثم حول شفتيه لتلك الابتسامة المشرقة .. " والآن ، ماذا عنك ؟ " .

- " ماذا عني ؟ " وضحكت بعصبية ، ونظرت تجاه المطبخ متطلعة إلى صوت ياتي من داخله يهب لإنقاذها .

- " لست ادري إلا اقل القليل عنكَ .

- " ليس هناك الكثير ليقال " .

- " اوه ، كفاك تواضعا . إن هناك مئات الأمور لا اعلمها عنك ، اسرتك ، إخوتك ؟ اخواتك ؟ " .

وسرت ان اتجه الحديث إلى ارض محايدة ، فقالت :

- " لا إخوة لدي " وانطلقت تحدثه عن اختها الصغرى ، "فاي" ، التي تدرس القانون في مانشستر ، ومنزل اسرتها في فيرهام ، وعن طفولتها ، ورحلات الإجازات ، والمدارس التي التحقت بها وكانت دائما متفوقة فيها .

ثم قصت عليه قصة التحاقها بالمعهد ، والسكن المشترك مع

رفيقاتها ، وحكت له عن "جيني" المفتونة به ، وعن "بات" مصممة الأثاث .

ثم قالت والغداء على الأبواب :

- " لقد كنت على حق . لقد عشت حياة رتيبة تخلو من أي أحداث ذات قدر ، ولقد كنت على حق حين اتهمتني بانني فتاه تعودت طيب الحياة " .

فرد بسخرية ومرارة :

- لا عليك ، إن الحياة متعودة أن تخدع الناس بوجهها هذا كثيرا ، فانتهزي كل فرصة للاستمتاع بها حين تفعل ذلك معك ، فعند خطا واحد ، يمكن أن ينهار كل هذا فجاة ، ويولي للأبد. وأسال الله الا يحدث هذا لك على الإطلاق " . واستدار فجاة ، وأخذ يتحدث سريعا مع "بابوشكا" واحست "تيفاني" بالفرق الشاسع بينهما ، وامتلأت نفسها رغبة في أن تعرفه ، وأن تسبر غور غموضه ، وتزيل هذا البعد الساحق بينهما من الحضارة والثقافة ، إلى أن تتلاقى روحاهما .

وأخذت تتناول طعامها تحت وقع نظراته التي لم يرفعها عنها ، ولاحظ في تلذذ انها رفضت الصنف التالي ، وقال :

- " إنني - حقا - لم أكن أشير إلى قوامك حين ذكرت انك بدينة . على الضد ، إنني أرى أن لك جسدا رائعا كما أتخيله تحت ملابسك الفضفاضة " .

وابتسم حين رأى احمرار وجنتيها .. " ماذا حدث لذلك الزي الماكر من الجلد الأسود ؟ كنت أود لو أراك فيه مرة أخرى هل لديك مانع أن ترتديه الليلة ، وأنا أدعوك لاصطحابي إلى النادي ؟ " .

وابتلعت ريقها :

- " أنا ؟ " . وأخذت تتخيل مشاهير النساء اللاتي شاهدتهن معه على صفحات المجلات .

- " إنك رفيقة ممتازة يا "تيفاني" . أنا في الثالثة والثلاثين ، هل فرق العمر كبير ؟ " ورفع حاجبيه : " إن لك جسد امرأة ناضجة ، وهذا يجعلني أنسى عمرك الحقيقي " .

- " إنني في الواحدة والعشرين " .

وضحك :

- " ومتعطشة للشهرة قبل الخامسة والعشرين " .

وانفجرت :

- " كيف عرفت ... " ثم توقفت محرجة .

وضحك ضحكة رقيقة :

- " سؤال خادع . لو كنت أنكرت ذلك لأصبت بخيبة أمل فيك لا توصف " .

- " لقد ذكرت لرفيقة سكني أن العمل معك أشبه بالمشي في حقل الغام " .

واحمرت وجنتاها حين تذكرت ما كانت تعنيه وقتها بقولها ذاك ، ثم قالت بانكسار :

- " وهذا حقيقي بأكثر من وجه " .

- " وأنا أتوقع منك أن تجتازيه من جانب إلى آخر . والآن ، هيا لتناول القهوة ونحن نتمشى على السطح " .

ونهضت لنهوضه ، وقالت :

- " هل أذهب لأخبر "بابوشكا" ."

- " إن اسمها "أنيا" وبابوشكا" ومعناها " جدتي الصغيرة " هو اسم تدليل " .

- " إني آسفة " .

- " لا داعي للأسف . أخبريها أين سنكون ، وأنا متأكد أنك ستستطيعين أن تعبري لها عما تريدين بهاتين العينين الواسعتين ! "

وقام متعثرا عن كرسيه ، مشيحا لها بيده حين أرادت أن تتقدم لمساعدته . فتركته وشأنه وهي تعض شفتها ، وادخلت رأسها من باب المطبخ لتعبر بالإيماءات عن شكرها للوجبة الفاخرة ، وعن المطلوب بالنسبة للقهوة .

وكانت عينا "أني" الحادتان مليئتين بالود ، وهزت رأسها علامة

الفهم .

وكان "هارلم" بالخارج ، وكان عليها ان تبحث عنه خلال متاهة من النباتات المتشابكة تحت سقف زجاجي ، حتى وجدته ، متكئا على مدخنة حجرية ، يحملق إلى منظر المدينة عبر النهر .

وقالت في انفعال وهي تقف بجواره :

- " يا للمنظر الرائع من هنا ! " .

وقال "هارلم" وبصورة غامضة :

- " حين يقفل باب ، ينفتح باب آخر " وكان ذلك بداية شرح لأنه قبل أن تنزل الستارة نهائيا على مستقبله كراقص في أشهر فرق الرقص العالمية ، فإنه رفض كلية ان يتوقف حيث هو .. .

- " إن هذه الفرقة التي جاءت في وقتها تماما ، لأشبه بهبة من السماء . وبعدما فعلته السماء بي ، فإني اتصور الأمر وكانه اعتذار لي عما حدث . " . ورفع بصره للسماء وعلى وجهه تعبير محير في فهمه ، وكانه يتوقع برقا في السماء ردا عليه .

ثم قال بنفس النغمة ملتفتا لها :

- " اللعنة كم أود أن أقبل هاتين الشفتين " .

وشعرت بنفسها تنتفض ، وابتلعت ريقها بصعوبة :

- " إنني اراك دائما محاطا باكثر النساء جمالا " .

فرد بابتسامة مريرة :

- " يا لحظي الحسن ! لقد ضقت ذرعا بالشبيهات بالأولاد عديمات الصدور.

كم اشتاق إلى امراة حقيقية . " .

واختارت "بابوشكا" هذه اللحظة لتقطع تقدمه البطيء ناحيتها . وبدا الأسف على وجهه و "بابوشكا" تضع صينية القهوة ، ثم ترطن بسرعة بلغتها لـ"هارلم" ، ثم اتبعت ذلك بضحكة ماكرة ، رغم عدم فهم "تيفاني" لما قالت ، فإنه لم يصعب عليها أن تتصور تعليق السيدة العجوز على وجودهما معا . وعضت شفتها .

وقال لها :

- " لا تلقي لها بالا ، إن لديها روح فكاهة وسذاجة القرويين " ثم صاح وراء المراة بشيء وهي تختفي . ثم انحنى طابعا شفتيه على فمها في قبلة عميقة .

وبين هذه الرغبة المحمومة التي فجرها فيها ورفضها أن تسلم نفسها بهذه السهولة ، تراجعت محتقنة الوجه وهي تغمغم :

- " إنني آسفة .. "

واجابها مغمغما ايضا :

- " وانا كذلك ، ولكن لسبب مختلف " وحين رفع بصره لها ، كان على وجهه عبوس خفيف .

- " لم يكن هذا مخططا له يا "تيفاني" . على الاقل .. لم اكن اتصور أن هذا سيحدث بيننا "

وانزل يده عنها ببطء واخذ عدة خطوات للوراء ، ثم جلس على بروز حجري بالقرب من حافة السطح ، واضعا عصاه بين رجليه :

- " اعتقد ان علينا أن نهدأ قليلا " .

- " نهدأ ؟ " إن ما تشعر به بداخلها قد يكون أي شيء عدا الهدوء . لقد تحول عالمها إلى لهيب مضطرم . وحتى ولو كان قد خلى سبيلها الآن .

وتقلصت شفتاه ، وقال :

- " اللعنة . إننا سوف نعمل معا ، وإن لهذا اعتباره لدي أكثر من نزوة طائشة . فما يمكنك أن تقدميه للشركة كمصممة اغلى لدي من أن اجازف به لقاء لذة عابرة " .

واقشعر بدنها كما لو كانت ضربت بسوط . ومسحت بيديها على الحائط القائم خلفها . ووقفت بانتباه ، ولكن بدون أن تدري جوابا .

- " إذن فقد تقرر ذلك . انا سعيد انك على قدر من الإدراك ومن الطموح لأن تشاركيني الراي " ثم نهض فجاة ، ملتفتا عنها حتى إنها لم تستطع أن تقرأ تعبيرات وجهه ..

- " تفضلي القهوة . إن تجربة العرض ستبدأ بعد ربع الساعة ، ويمكنك أن تشاهديها لساعة قبل أن تختفي في الورشة " ثم استدار لها .. " تيفاني"، ارجوك أن تنسي ما حدث، فانا آسف بشانه .اتريدين سكرا ؟"

- " ماذا ؟ " واتسعت عيناها ، ثم أخذت نفسا مضطربا قبل أن تهز رأسها بلا كلمة . وكانت لا تزال تضغط بظهرها الحائط وهو يحلي قهوتها بالسكر ، ثم يقدم القدح لها . وتقدمت نحوه وهي تجبر نفسها على أن تتصرف بصورة طبيعية وأخذت القدح بدون أن تنظر إليه ، والأفكار متجمدة بلا كلمات في ذهنها . وبدا "هارلم" متماسكا تماما ، يتحدث في موضوع ثم ينتقل لآخر وكان شيئا لم يكن. وكانت تهز رأسها ، وتومئ بها ، وقالت تعليقا أو اثنين ، مجاراة لحديثه بدون أن تأخذ منه اي انطباع أنها غير طبيعية بالمرة . لقد كانت كإنسان آلي ، ولكنه لم يلاحظ ذلك .

ونزلا إلى المسرح بعد ذلك بقليل ، وكان كل تفكيرها محصورا في أنهما كانا على بعد مناسب كل من الآخر وهما يشقان طريقهما عبر المسرح . وأخذت موقعها السابق في المقصورة ، لتقاسي نوعا من العذاب ، وهي تراقبه وقد سطعت عليه الأضواء ، مضيئة كل تفاصيله.

وتوجهت بعد فترة للورشة لتراقب تنفيذ تصميماتها ، ولم يكن إلا بعد أن حانت السادسة حين عادت لتجمع متعلقاتها وراء المسرح . وكانت ملاحظة "فرانك" بان "هارلم" يعرف كيف يشحن فريق العمل معه بالعمل ، وكيف يزيل ما بهم من إجهاد ، كل هذا بتحكم منه في كل الأمور وكانت هذه الملاحظة تدق في رأسها كالمطارق طوال النصف الثاني من النهار .

وكان "هارلم" واقفا يتحدث مع بعض الراقصين في الممشى . وأشار إليها حين رآها:

- " لا تنصرفي الآن ، إن لدينا ترتيبا يجب أن نجريه " .

قالت :

- " حقا ؟ " .

وهز رأسه في عدم رضا :

- " ذاكرة ضعيفة يا آنسة "ملجروف" . ثم صرف محدثيه بعد انتهاء الحديث معهم ، واستدار إليها :

- " لا يزال موعد الليلة قائما بالنسبة لي " .

وتجعد جبينها :

- " الليلة " ثم تذكرت فجاة دعوته لها ، وتضاربت مشاعرها لفكرة قضاء امسية معه ، وسالته :

- " اتراها فكرة صائبة ؟ "

- " لا تخشي شيئا يا عزيزتي . سيكون الجميع معنا " .

وسددت له نظرة باردة ، وسالت :

- " وبنفس الشروط ؟ " .

وانفجر ضاحكا :

- " رائع ، بالمناسبة ، لقد نسيت أن أسالك اين تقطنين ؟ " .

فردت بسرعة :

- " لا عليك ، سوف استقل سيارة اجرة " ولم تتصور أن تجده يقتحم عليها آخر مكان لها خارج منطقة سيطرته .

وبدا "هارلم" غير مقتنع ، ولكن يبدو أن تعبيرات وجهها اقنعته بعدم جدوى المجادلة .

- " إذن كوني هنا في التاسعة تقريبا . فإن "فرانك" و "مارجريت" سيتناولان العشاء معي في السابعة ، إذ سوف نتناقش في بعض الأمور المالية ، وبذا لن تكون هناك فرصة .. " ثم تردد قليلا ، قبل أن يكمل بحدة " فرصة لأي شيء يحدث مصادفة " .

ووصلت في الموعد المحدد ، حيث كونت ، بالإضافة إلى "فرانك" و"مارجريت"، مع ثلاثة آخرين أو أربعه من الراقصين وموظفي الفرقة مجموعة ذات شان تحيط بـ"هارلم" وهم يتجهون إلى نادي "ماي فير"

في حوالي العاشرة مساء .

وكان "هارلم" بالتاكيد زبونا ذا وضع متميز ، وكانت هناك عدة موائد محجوزة بالفعل لهم .

وفي نهاية الصالة ، كانت الراقصات والراقصون يقفزون بحيوية كما لو كانوا لم يقضوا اليوم بطوله في تجارب العرض المرهقة .

ونظرت لهم "تيفاني" بحسد وهم يسلبون انظار الرواد .

وقال "هارلم" معلقا :

- " افضل من العروض المعتادة ، واقر بانهم يستحقون اجرهم " .

وكان وجهه خاليا من اي تعبير وهم يلفون ويتقافزون ، واستطرد : " لقد كان زمن حين .." ثم توقف فجاة ، قبل ان يقول " مرحبا ، فلناخذ راحتنا ، وحين نخرج بعد قليل ، ارجو ان تكونوا مستطيعين حملي " .

وشعرت "تيفاني" بقلبها يفيض إشفاقا ، وهي تشعر بمدى قسوة الأمر عليه ان يضطر للجلوس بينما كان يمكنه ان يكون على المنصة التي تغمرها الموسيقى كاي واحد من مقدمي العرض .

وقالت :

- " إنك تبدو امريكيا جدا احيانا يا "هارلم" " .

- " لا عجب في ذلك . فامي امريكية ، هيفاء من تكساس " . وضحك لدهشتها وسالها :

- " الم يخطر ببالك ان تسالي من اين اتى اسم "هارلم" ؟ " .

وهزت راسها :

- " لقد تصورته اسما فنيا او شيئا من هذا القبيل " .

- " لا " .

- " إذن فاشرح لي " وكانت متشوقة لان تستكمل الصورة الجديدة التي بدا يعرض نفسه لها بها في ذهنها .

- " كانت مغنية في ملهى ليلي وهي في مطلع شبابها ، و"هارلم" تعني الحيوية ، والإلهام بالنسبة لها . وتقابلت مع والدي حين كان في جولة مع "البلشوي" ، ويبدو ان علاقتهما كانت حدثا مدويا . وقد ولدت

انا في امريكا وقضيت فيها السنوات الثلاث الأولى من عمري ، ثم ارسل بي إلى روسيا لأبدا تعليمي ، وهناك تعلمت الرقص " .

- " وهل اخترت الرقص بنفسك ؟ " .

وابتسم :

- " اعتقد ان هذا شيء يجري بالوراثة . فاجدادي من اهل جورجيا كانوا راقصين " .

وسالته وهي تسال نفسها إن كان بإمكانه فهمها :

- " واي الأماكن تعتبرها موطنك إذن ؟ " .

- " موطني ؟ اعتقد ان موطن الإنسان حيث يوجد قلبه ، ام تراه تعبيرا دارجا في راي الأنسة "ملجروف" ؟ " .

فتورد خداها :

- " يبدو ان حياتي تدور كلها حول ما هو دارج " .

- " هل تلمحين إلى ما حدث في اثناء الغداء " وهزت له راسها .

ومد لها يده عبر المائدة :

- " اسف يا "تيفاني" ، لقد كان جنونا ان تعرض علاقة عمل طيبة من اجل... ماذا ؟ شيء لا يزيد في احسن احواله على نزوة طارئة " .

- " بالنسبة لك تقصد ؟ " .

وبدا كان دهرا مضى قبل ان يجيب "هارلم" في لهجة مفعمة بالجد والحزن:

- " ليس بالنسبة لي فقط ، بل لك ايضا ، إنك في مطلع شبابك ، وحاجاتك متجددة على الدوام ، وقد بدات لتوك تتحولين إلى الشخص الذي سوف تكونينه، ولا اتصور انك ترغبين في ربط نفسك بمن انقضى امره مثلي " ثم ضحك في صوت اجش . ورغم روح المرح البادية على السطح ، فقد احست بالمرارة الغائرة في اعماق نفسه .

وهمست وقلبها يتمزق الما له :

- " "هارلم" ، لا اسمح لك بان تفكر هكذا " .

- " ماذا " .

- " إنك لم ينقض أمرك ، ولن يحدث هذا على الإطلاق . ربّاه ، لو كان هذا حقا بالنسبة لك ، فاية فرصة تكون لغيرك ؟ " .

- " ربما هناك من لم يوجدوا اصلا ، ومن لن يكونوا ابداً " وضحك بمرارة .

وحين مر بهم النادل ، رفع له يده :

- " مزيدا من الشراب ، تافاريشن (يا رفيق بالروسية) لماذا هذا البطء الليلة ؟ " ثم مال بكرسيه ، ونادى الآخرين :

- " لانا " ! "موريس" ! لماذا لا يشرب القوم ؟ ما هذه الوجوه المتجهمة ! هيا ياأصدقائي ! إننا على اهبة حدث عظيم ، فلنشرب نخب المستقبل الرائع الذي أمامنا ! " . .

ولو لم تكن "تيفاني" قد سمعت كلماته السابقة ، لما أحست بالسخرية التي تحملها كلماته ، ولا لاحظت تقلص فمه المفاجئ وهو يصيح بهذه العبارات ، ويرفع الجميع كئوسهم ضاحكين ، لم يكن غيرها يحس بمدى ما في صوته من ياس .

الفصل السابع

كان تصرف الراقصين مختلفا كل الاختلاف عن مظهرهم في اثناء تجارب العرض ، إذ كانوا اشبه في الانضباط بفرقة عسكرية . فـ"سيلفانا" على وجه الخصوص ، وهي راقصة في سمك شعرة الراس ، كانت تاخذ حريتها مع "هارلم" في العلن ، بصورة قد تخجل لها "تيفاني" في الخلوة . وتساءلت "تيفاني" إذا كانت تضيع وقتها عبثا ، طبقا لتعليقه السابق عن الفتيات الشبيهات بالأولاد . وراقبت باسى استمتاع "هارلم" بالموقف ، وكانه نسي كل ما قاله ، وكان يهمس لها بكلمات بالروسية ويغمز لها بعينه بصورة لا تدع شكا في مدلول هذه الإيماءات . وراقبت ، وهي تظهر عدم الملاحظة ، الشقراء وهي تلح عليه ليذهبا لساحة الرقص ، حيث بدات تدور حول هيكله الذي لا يكاد يستطيع الحركة ، بصورة ودت "تيفاني" لو تلقي بها للخارج .

وهب "فرانك" واقفا :

- " إننا معشر المصممين يجب أن نتكاتف معا . لكم انا سعيد

بوجودك كدعم معنوي لي " وبعد لحظات ، كان ينظر إليها نظرة رضا ، وقال :

- " إنك محركة للعواطف يا "تيفاني" .

فابتسمت ، مسرورة لذلك ، وقالت :

- " لست قبيحة المنظر على ما أظن ؟ " .

واضافت حين نظر لها مشدوها : " لقد فعلت امرا شنيعا يوم أن حضرت للمقابلة . لقد سمعتكما - انت و"هارلم" - ، بدون قصد ، وانتما تتجادلان فيّ . وما زلت اشعر بالذنب من وقتها ، ارجو ان تسامحني ولا يكن في نفسك حاجة من ناحيتي " .

وجلجلت ضحكته وهو يسالها كيف حدث ذلك ، وقصت عليه كيف كانت دهشتها حين غير "هارلم" فكرته عنها .

وقال لها وهو يمسح بيده على ظهرها :

- " كنت قد اخترت عددا قليلا من الآخرين في قائمتي الصغيرة ، وكنا قد قابلناهم صباح ذلك اليوم ، وتعمدت ان أؤجل مقابلتك لتكوني الأخيرة ، لأني كنت أعلم انها انت من سيقع عليها الاختيار ، ولكني اردت ان يرى "هارلم" الآخرين ، حتى يقارن بينهم وبينك - لقد ملئت نفسي إعجابا حين رايت اعمالك، علمت وقتها انك متميزة ، وانه لابد يشعر بذلك ، وكان ما يحيرني هو لماذا كان يحاول ان يشكك فيك " .

واحست به يحاول ان يضمها إليه اكثر مما يجب ، فتعمدت ان تخطو للخلف وهي تراقصه .

وفهم هو الرسالة . واستطرد قائلا : " إن "هارلم" روح منطلقة يا "تيفاني" ، تابى ان تتقيد باي شيء او اي إنسان ، فلا تحزني " .

واحمر وجهها وقالت :

- " هل مشاعري مفضوحة لهذه الدرجة ؟ " .

قال :

- " إنك لا غبار عليك ، ولكنه نار تحرق كل من تصادفه من النساء " وامسك بذراعها في لمسة ود واضاف : " إن لدي تعاطفا مع كسيرات

القلوب " .

وانتهت الرقصة وتعمدت "تيفاني" - بقية الأمسية - الا تكثر من نظراتها لـ"هارلم" .

وحين ظنت انها قد أصبحت في مامن ، وجدته يمد لها يده متجاهلا نظرات "لانا" الحاقدة وهو يحاول أن يحثها على الرقص ، فقالت وهي مدركة لنظرات الدهشة من الآخرين :

- " لا يمكنني ان ارقص " . فسحب يده قائلا :

- " وانا مثلك " .

فانبرت له قائلة :

- " ولكنك كنت غاية في المهارة الآن . وشعرت فجاة بتاثير حضوره الرجولي يكتسح مشاعرها .

- " وهل تسمين هذا رقصا ؟ ، ثم اخمد نظرة حرارة اشتعلت فجاة في عينيه وانحنى ناحيتها وقال هامسا ، واضعا يده على ظهرها :

- " افضل ان تعودي لملابسك الفضفاضة ، فهذا آمن لك . إنني تعجبني الفتيات اللواتي يلعبن بالنار ، فقط اتمنى ان تكوني قادرة على هذه اللعبة " .

قالت ، وهي تحاول الا تذوب للمسته :

- " لقد وعدت ان اكون امنة " .

- " وانا عند وعدي يا انسة "ملجروف"

ولم تكن متاكدة تماما من مقصد كلامه ، ولكنها شعرت بالارتياح حين اعتدل في جلسته ، وركز انتباهه في الموسيقى . وبذلت جهدا كبيرا لتتماسك مع هذا القرب منه لها . ولم ينفرط الجمع إلا مع الساعات الأولى من الصباح .

واستقلوا سيارة أجرة مشتركة ، ونزلت هي اولا ، ثم وقفت تتطلع للسيارة وهي تنطلق بالبقية ، وفيهم "هارلم" ... ، و"لانا" .

تصورت "تيفاني" ان حمية العمل قبيل الافتتاح ستاخذ افكارها بعيدا عن "هارلم" وحياته العاطفية . ولكنه كان على الدوام موجودا في

عقلها ، وأمام ناظريها ، ويظهر لها كشبح أسود في أحلامها .

واعادت قراءة كتاب "بات" عن التفكير السديد ، وجربت جلسات التامل ، والتجارب النفسية للتدريب على البغض ، وخرجت للعشاء مرة أو مرتين مع "فرانك" ، ولحفلة مع "رافي" وزملاء المعهد ، ولكن ما من شيء من هذا كان له أي تاثير .

فما إن كانت تقع عيناها على "هارلم" صباح اليوم التالي ، حتى تجد نفسها في نفس الشرك . أما من جهته هو ، فقد بدا وكانه قد نسي انه اختلس ذات مرة قبلة من شفتيها ، واصبح يعاملها كترس في آلة يتطلب منها مراقبة ملاحظ الماكينات لآلته .

وصاح حين وجدها بجواره اليوم السابق على تجربة العرض الفنية:

- " رائع ، هذه الستارة الحريرية هي إبداع ما بعده إبداع " .

قالت :

- " إنها فكرتك أصلا " .

وبدا متحيرا :

- " أحقا ؟ لكنه تنفيذك الذي وضعها موضع التنفيذ " .

وبدا مشغولا للغاية ، وابتعدت هي عنه . وكانت هذه المحادثة اكثر احاديثهما تقاربا . منذ أسبوع لم يكن ما بينهما لا شتاء ولا ربيعاً ، بل اشبه بذلك الوقت من العام بينهما إذ لا شيء يحدث في الجو . ذكرت نفسها بانه لا شيء قد حدث بينهما ، فهو لم يعد بربيع قادم . وحين تذكرت قول "فرانك" حول كسيرات القلوب ، وجدت أن عليها أن تحمد ربها .

كانت "تيفاني" جالسة في المقصورة صباح تجربة العرض الفنية ، حين أتى "فرانك" ليجلس إلى جوارها . ثم جاء "جاسون" و "جافين" ليجلسا وراءها . وحبست "تيفاني" أنفاسها تحسبا لما يمكن أن يقوله هؤلاء في حقها . ثم دخل "هارلم" من أحد الأبواب الجانبية .

أوه ، يا إلهي ، وقفز قلبها بين أضلعها . إنه قادم ليجلس بيننا .

وقبضت على يد مقبض الكرسي بشدة ، وشكله المالوف يهل عليهم مع خفوت ضوء الصالة ، وحلك الظلام وهو ياخذ مقعده بجوارها ، ولكن جهاز استقبالها التقط وجوده لجوارها ، زائدا عليه رائحته الرجولية التي تهب منه عليها .

لن أتمكن من التركيز . سيطرت عليها هذه الفكرة وهي تحاول ألا تدير رأسها . وتصلبت نظراتها على المسرح والضوء يسطع عليه خاليا إلا من المناظر التي صممتها .

وقال "فرانك" :

- " بديعة يا حياتي ! " ومد يده ليمسك بيدها الموضوعة على حجرها ، وظل ممسكا بها والراقصون يدخلون المسرح ، وقد أرادت "تيفاني" أن تسحب يدها ، ولكنها لم تستطع ، أمّا هو ، فقد بدا أنه نسي أنه ممسك بيدها . وتململ "هارلم" في مجلسه .

وفجاة ، هلل "جاسون" و "جافين" بطريقة فوضوية ، وصاح "جاسون" على الملأ :

- "مرحى لك ، ليتني كنت في الواحدة والعشرين . ولست على أبواب الثلاثين" ومال وقبل خديها ، واستطرد : " لم يضع كسر القلب هباء" وكان يدري مدى قلقها منذ البداية .

أما "لانا" فربتت ظهرها بود ، وقالت :

- " إن لك مستقبلا باهراً " .

وربت "جاسون" ذراعها ، وهمس :

- " إن "فرانك" يستحق منك قبلة كبيرة " .

فادارت رأسها . إنها رغم ميلها لـ"فرانك" ، قد نفرت من فكرة قبلة لأي إنسان ، بعد أن ذاقت قبلة "هارلم" .

وبدا الجميع في الانصراف بعد أن أخذ كل منهم ملاحظات "هارلم" له ، وبدأت "تيفاني" ترتدي معطفها استعدادا للانصراف ، ولكنه قال :

- " انتظري دقيقة يا حبيبتي ؛ أريد إجراء بعض التعديلات " - وكان صوته مجردا من الانفعال . وبعد أن تبادل الوداع مع من حوله ،

استدار لها :

- " إن عملك ممتاز ، وقد اعجب به الكل ، ولكني كنت أرى أن نجري تعديلا بسيطا ، نعطي فيه "موريس" مساحة اكبر عند دخوله فانا اكره أن يدق عنقه ذات مرة عند اندفاعه داخلا " .

- " وانا اكره أن يدق عنقه باي حال من الأحوال " .

واشرق وجهه بابتسامة خاطفة ، ثم قال :

- " لو حدث فسوف اتحمل انا المسؤولية . لقد نفذت عملا آمنا بكل المعايير ، انظري " . وتحرك بصعوبة مشيرا لها أن تتبعه ، ثم بدأا يناقشان التفاصيل الفنية للتعديل المطلوب .

وبعد أن انتهيا ، استدار لها مقطبا قليلا :

- " ما معنى كسر القلب الذي سمعته من لحظات ؟ " .

وحاولت أن تبدو متحيرة :

- " لست ادري " .

- " لا تكذبي عليّ ، هل هناك إشاعات تتردد ؟ " . فسالته متعمدة الا تنظر في عينيه :

- " عن اي شيء ؟ " .

- " انت تعلمين جيدا عن اي شيء " . فقالت بصوت ناعم :

- " اسفة ، ليس لدي اية فكرة . هل هي ... عنك وعن "لانا" ؟ " .

- " اللعنة على "لانا" ، انا لا اتكلم عنها ، وانت تعلمين ذلك " .

- " لو كانت هناك اية إشاعات ، فلن تكون عنا باية حال ، إنك لا تكاد تشعر بوجودي" وكانت تتكلم بحرارة اكثر مما ارادت ، ثم وضعت يدها على فمها بطريقة آلية ، شاعرة بانها فضحت سريرتها .

- " لقد قلت لك إنني لا اسمح باي شيء بيننا يا "تيفاني" .

فرفعت صوتها قائلة :

- " وهل يعنيني هذا ؟ لا تتصور نفسك الرجل الوحيد في حياتي ، فالكون مليء حولي بالرجال " . وضحكت ضحكة خشنة .

- " وهم يقبلونك ايضا على ما اظن ؟ " .

وحملقت إليه وقد ابيض وجهها :

- " وما شانك انت ؟ ماذا لو قبلني أحد ؟ " .

- "مثل "فرانك شور" مثلاً " .

- " وماذا في هذا ؟ " .

- " لقد رايته ممسكا بيدك طوال تجربة العرض ، منذ متى يحدث هذا بينكما ؟ " .

قالت له من بين أسنانها ، متحكمة في صوتها ، ولكن قلبها كان يدق بعنف :

- " الزم حدودك يا سيد "بارنسكي" " .

وصاح فيها بحدة :

- " اريد أن اعرف ما يجري في فرقتي " .

- " تريد ؟ لماذا ؟ هل من اجل إشباع رغبة في التطفل ؟ أو هو نوع من الديكتاتورية ؟ " ورمته بنظرة ملتهبة : اتريد أن تضع "جهاز تنصت " على كل فرد ، ما علاقة حياتنا الخاصة بك بحق السماء ؟ " .

- " لست مهتما بوضع " جهاز تنصت " على كل فرد ، بل عليك انت بالذات ، وهذا بالتاكيد بسبب شيء يرجع إلي .. ماذا تفعلين .. من الذي .. " .

وقاطعته بحدة :

- " الذي ماذا ؟ " .

قال بصوت خفيض :

- " الذي يطارحك الغرام " واستدار ومضى متثاقلا ، وكانه يريد إنهاء الحديث .

وصاحت وراءه وقد جن جنونها للطريقة التي بدا بها وكانه يتملكها:

- " يا لحظك العاثر ايها المدير المتطفل ، لأنك لن تعلم ابداً " .

واستدار فجاة وقد اكفهر وجهه :

- " الن اعرف بحق الإله ؟ الن اعرف ؟ " .

وعاد إليها ، وهي تنظر باسى عميق لمظهر الآلام على وجهه وهو يتكئ على عصاه :

- " تعالي هنا يا خائنة " .

- " كيف تتجرأ ؟ ! " وتفجرت في قلبها فجاة كل المشاعر ، ياس الأيام الماضية ، توتر الأعصاب لقرب الافتتاح ، الألم المبرح لكونه لم يعد لها ، كل هذا اكتسح أمامه ما تحس به تجاهه من عطف ، فخطت تجاهه ، وقد اقنعتها دقات قلبها المتسارعة أن ترفع يدها لكي تبطش به .

ثم احست بالخجل يملأ نفسها ، فاحمر وجهها ، وبدلا من ذلك ، قالت بصوت مختنق :

- " لا أستطيع أن اتحمل رجالا على شاكلتك يا "هارلم بارنسكي" . إنك ممتلئ بالغرور تتصور أن كل امراة تمر أمامك ، ستخر تحت قدميك . إنك ميت من الداخل يا "هارلم" . ليس لديك إلا صفر كبير مكان قلبك ، والآن اغرب عن وجهي ! اغرب عن حياتي ! إني أكره مجرد رؤيتك " واحست بالدموع تتدفق كالينابيع من عينيها ، فرمته بنظرة يتطاير منها الشرر ، ثم ولت مسرعة .

وجاء صباح تجربة العرض النهائية في اليوم التالي ، وبعدها كان كل أعضاء الفرقة سياخذون راحة بعد الظهر ، ليهيئ كل فرد نفسه للافتتاح . وكان الجو مكهربا حينما وصلت "تيفاني" في العاشرة إلى الكواليس ، بعد ليلة مسهدة . وكانت مستعدة لمواجهة "هارلم" إذا اقتضى الأمر ، ووقفه عند حده ، ولكنه كان مشغولا تماما ، فلم يحدث أن تقابلا . ورأت أن التعديل قد نفذ ، ورفع "موريس" لها إبهامه وهو يمر من أمامها .

ولما اطمانت إلى أن العمل قد تم إنجازه كاملا ، غادرت المسرح عند بدء آخر مشهد في العرض ، لتستقل المترو إلى حدائق "كوفنت" ، لتكون أبعد ما يمكنها عن "هارلم" . كان الجو خانقا ، وتنبات بموجة من تلك الموجات غير المتوقعة من الحرارة التي تحدث في أوائل شهر يوليو تموز) ، كمثل علاقتها بـ"هارلم" ، والعرض الذي لم تشاهد منه شيئا .

ومضت وسترتها على كتفها ، تسير على غير هدى أمام المحلات ، لا تكاد تحس بشيء مما حولها ، رغم أن عينيها كانتا تتنقلان بين المعروضات تنقلا آليا محضا .

لماذا قالت ما قالته لـ"هارلم" اليوم السابق ؟ أتعتقد حقا أنه بلا قلب؟.

لقد كانت تظن ذلك بالفعل ، ولكن السؤال ظل يتردد في راسها طوال الليل ، بدون إجابة ومرت بذاكرتها علامات المرارة التي كانت تبدو خاطفة على وجهه خلال ملامحه التي يتحكم فيها تماما . وكانت ترجع تلك العلامات إلى ما يحس به من آلام نتيجة جرح الكبرياء . لقد كان في اوج مجده تقريبا ، وكان قلبها يكاد يتحطم كلما تصورت مشاعره وقد سلب منه ذلك كله بضربة قدر . ولكنه تمكن من أن ينهض من كبوته مرة أخرى ، وها هو يلمع اسمه مرة أخرى ، فماذا يريد أكثر من ذلك ؟ .

إذن فالأمر لا يعدو صلفا وغرورا وهما اللذان يحركان مشاعره الآن .

إن الغرور المجروح قد حرمه من أن يشعر بانه على القمة مرة أخرى، وستكون الليلة برهانا ساطعا على ذلك ، وإن كانت تتوقع منه الا يتغير رغم ذلك.

وكان جزء منها يدرك انه ليس بمقدورها إطلاقا أن تقدر ما يمكن أن يكون عليه امرؤ كان يوما من كبار الراقصين ، ثم تحول لمعوق لا يكاد يتحرك على ارضية "صالة ديسكو" ولكن رجالا آخرين قاسوا مما هو أكثر ، وتغلبوا على عاهاتهم . .. وظل لهم قلب يهتمون به وبالآخرين ايضا .

وكانت رحلتها إلى حدائق "كوفنت" بغرض آخر ، مع البعد عن "هارلم" . لقد جاءت تنتقي رداء تحضر به حفلة الافتتاح ، وحفلة الفرقة التي ستتلوها .

وكان "فرانك" قد قال :

- " بعد أن توزع الحلوى على الأولاد ، يجلس الجميع يقرضون

أظافرهم لما يوجه لهم من ملاحظات في أول طبعة في الصحف . اللعنة على النقاد جميعا". ورد عليه "جاسون" مبتسما وقتها :

- " ولكنك لن تقول ذلك حين تنهال الأزهار " .

إن "هارلم" لا يدرك كم هو محظوظ بكل هؤلاء القوم حوله . وأخذت "تيفاني" تفكر في ذلك ، وقلبها مفعم بالغيظ .

وأخيرا كان هناك ثوب من "الشيفون" يبرز مفاتنها ، هو الذي خطف بصرها.

لم يكن متوافقا مع الظرف الذي تمر به ولكنه كان نوعا من التحدي في تلك الليلة ، وكانها تلقي بكل ما فعله بها وراء ظهرها .

وكانت "بات" و "جيني" وكل زملاء المعهد يتعاملون مع المناسبة وكانها عرض أزياء ، وكانت قد دعتهم لحفلة الفرقة ايضا ، ولو رفضوا لكانت قد لوت أذرعهم، فهي لم تكن لتحضرها منفردة . ولو كانت ستتقن اللعبة جيدا ، فهي لن تكلم "هارلم" مرة أخرى . وفور أن يستقر نجاح العرض ، سوف تقدم له استقالتها .

ولكن لكل شيء أوانه .

وتحاشت أن تذهب للكواليس قبل العرض ، إذ إن "فرانك" قد حذرها من أن الجو يكون ملبدا بالغيوم مع توتر الأعصاب ليلة الافتتاح ، وبدلا من ذلك ، انسلت مع الآخرين للمقصورات ، وكان المسرح مشغولا بالكامل حين بدأت الأنوار تخفت . وامسكت "تيفاني" بانفاسها ، وبدأ عزف الموسيقى .

الفصل الثامن

دوى المسرح بتصفيق اهتزت له أرجاؤه ، واندمجت فيه "تيفاني" بكل حماس، تصفق للراقصين ، وتصفق للعازفين ، وتصفق أكثر من اي شيء للإبداع الرائع لـ"هارلم" ، شاعرة - أكثر من اي وقت مضى - بالفخر أن كانت جزءاً من الفريق الذي انطلق إلى آفاق السماء . وصاح واحد من الصفوف الخلفية باسم "هارلم" ، فتجاوبت له كل أصوات المشاهدين ، حتى اضطر "هارلم" أخيرا للظهور على المسرح ليرد التحية.

وكان في زيه الأسود الفاحم المعتاد ، أبيض الوجه تحت الأضواء الساطعة ، وظلال داكنة تحت عظام وجنتيه . تبين أن ما بذله من جهد في الأيام السابقة قد أوصله لدرجة الإجهاد ، وحاولت "تيفاني" الا تطيل إليه النظر ، رغم علمها أنه لا يراها .

وقام بتقديم باقة رائعة من الزهور إلى "لانا" باعتبارها الشخصية الأنثوية الأولى ، ثم باقة من البنفسج لـ"موريس" الراقص الأول من

الرجال ، ثم صعد واحد من الجمهور إلى المسرح ، وقدم لـ"هارلم" ذاته باقة من الزهور البيضاء ، وكان المشاهدون في أشد حالات الانفعال ، وحين غادر أفراد الفرقة المسرح أخيرا ، كانت أرضيته مغطاة بما قذفه الجمهور لهم تعبيرا عن إعجابهم .

وقالت "جيني" دهشة :

- " شيء يدعو للجنون أهكذا الأمر دائما ؟ " .

فقالت "تيفاني" بابتسامة :

- " ليس في أوقات تجارب العرض " . وكانت بابتسامتها تخفي ما يدور بذهنها وهو أنها كانت في مزاج مختلف تماما عن اليوم السابق ، بعدانتهاء تجربة العرض الفنية ، ولقائها العاصف مع "هارلم" .

وقالت "جيني" :

- " إن استوديو النحت الخاص بي سيبدو لي غاية في السكون بعد اليوم . ولم أكن أتصور "هارلم" بهذه الروعة " .

قالت فتاة اصطدمت بها وسمعت ما قالته :

- " اشتركي في نادي المعجبين " .

وقالت "جيني" لها ، شاعرة بود شديد لها وهي قد خرجت لتوها من غرفة الملابس :

- كيف حال العمل معه ، إنني على استعداد لأن أهبه يدي اليمنى " .

ونظرت الفتاة ، وكانت تدعى "كريسي" ، إلى "تيفاني" :

- " إننا نعرف كيف نتحمل ، أليس كذلك ؟ " وسارت بينهما وأخذت تقول :

- " إنه يعاملنا بتكبر مهذب خارج أوقات تجارب العرض ، يطمئن أن مرتباتنا ستدفع لنا بالكامل ، وأنها ستكفي أن تدفع إيجار مساكننا وثلاث وجبات مشبعات في اليوم ، وكثيراً من ليالي المرح .. ويهتم بمشاكلنا العاطفية ، ويسدي النصح إن طلب منه ، ولكن أحدا منا لا يقترب منه . وهذا هو الياس بعينه . إنه أقرب شيء إلى أب يبجل ! أليس كذلك يا "تيفاني" ؟ " .

واحمر وجه "تيفاني" خجلا ، متذكرة أن شفتيه كانتا أبعد ما تكونان عن الأبوة وهزت رأسها ، ثم عمدت إلى تغيير الموضوع قائلة :

- " لكم أخشى أن تصاب المناظر بسوء والقوم يروحون ويجيئون بينها " ...

قالت "كريسي" :

- " ولهذا قرروا أن تكون الحفلة في الشرفة ، هيا بنا " ..

وكان الجو الخانق لا يزال مستمرا ، وهم يجتازون شقة "هارلم" إلى الشرفة التي مُلئت بالوسائد التي تعطيها جو ليلة عربية تحت بريق النجوم الساطعة . ومد سماط تحت الفوانيس المعلقة ، وأخليت مساحة للرقص ، وقام الفنيون بدورهم بارتداء أزياء تركية ، وقابلوا الحاضرين بصينيات عليها الشهي من المشروبات .

وهمست "جيني" وهي تقرص "تيفاني" في ذراعها :

- " سوف أغيب عن الوعي من النشوة حين يظهر "هارلم" وسط كل هذا " . ورمقت "تيفاني" بنظرة . وكانت قد حكت لها عن رغبة "هارلم" في عدم وجود علاقة بينهما ، وبمواجهتهما الليلة السابقة .

وقالت لها :

- " لا تخافي أيتها الأنيقة ، فسوف نحميك كلنا من الذئب الشرس " .

وقالت "تيفاني" بابتسامة تخفي حسرة قلبها :

- " إنها حماية لم أكن أريدها للأسف " وقد أدركت فور أن عادت لهذا المكان ، أنه ليس هناك إلا طريقة واحدة لمعالجة هذا الموقف . أن تتحدث مع "هارلم" على انفراد ، وتخبره بما يجول في خاطرها .

وحين ظهر في النهاية ، كان وكأنما سبق ظهوره طبل وزمر ، فقد سرت همهمة بين الجميع ، واستدارت له الرؤوس وهو يشق طريقه بين الجميع . وعلى الرغم من أن أغلب الحاضرين كانوا من العاملين معه جنبا إلى جنب ، فإنه بدا للجميع أنه كان مختلفا .

شيء ما يجعله يبدو بعيدا عنهم . كان قد راح عنه توتر ما قبل الافتتاح ، وكان يتبختر محاطا بالفتيات كسلطان يزور حريمه بعد

فترة غيبة .

وسرت رعدة في جسد "تيفاني" وحاولت الانسحاب خلف إحدى الستائر ، ولكن عينيه اللتين لا تهدآن لمحتاها على الفور .

وسأل في سخرية :

- " أما من زهرة للآنسة "ملجروف" ؟ " . وشد واحدة من باقة "لانا" ، وقذف بها على حجرها . ثم رفع كاسه ، ولمحت نظرة تحدٍ في عينيه ، وأفرغها في جوفه . وأشاحت بوجهها عنه ، ولكنه لم يكن قد انتهى منها بعد .

استمر متجها إليها ، ثم انحنى أمامها وهي متكئة على أريكتها ، وسط أصحابها ، حتى اضطرت لترفع وجهها له وهو يجيل نظراته فيها بتكاسل ، وأحست بداخلها يضطرم . وكما لو كان يعرف ذلك ، أطلق ضحكة خفيفة ، بدون أن يقف عينيه عن رحلتهما .

ووضع أحدهم كاسا أخرى في يده :

- " حمدا لله أنه لا يوجد شخصان متماثلان وإلا لفكروا كيف سيكون الملل!" . وحين توقف كل فرد ليسمع قوله ، استمر : "خذوا الآنسة "ملجروف" مثلا ، فهي بالنسبة للبعض ، ليست سوى فتاة بدينة.."

وكتمت "لانا" ضحكة ، ولكنه استطرد : " بينما قد يعتبرها البعض الآخر مثالا للجسد الأنثوي الكامل ، وتجسيداً لتصور الفنانين عن جسد المرأة الشهواني المثير للإغراء، الذي جال بخيال الفنانين طويلا." ثم توقف قبل أن يُكمل : " أليس كذلك يا آنسة "ملجروف" ؟ .

وودت "تيفاني" لو تنشق الأرض فتبتلعها ، واهتزت منابت شعرها من البغض الذي كانت تضمره له من قبل ، ولكن حلقها توقف وهي لا تجد ردا مناسبا لهذه الإهانة البذيئة التي وجهها إليها . وهمست "جيني" :

- " يا إلهي ، إنه يقول أشياء بصوت عال لا يجرؤ تلاميذ المدارس أن يقولوها فيما بينهم . أتقولين إنه لا يريد أن يدخل في علاقة معك؟".

وردت بصوت خافت :

- " إنه يحاول أن يظهرني غبية أمام الجميع ." ثم هبت على قدميها. ولكنها كانت مضطرة للمرور أمامه ، وحين فعلت ، مدّ يده ، وسأل بصوت لم يسمعه غيرها :

- " أين أنت ذاهبة ؟ " .

وردت وهي تحاول أن تنتزع يدها من قبضته :

- " ما شأن هذا بك بحق السماء ؟ " .

ولكن قبضته اشتدت على يدها ، وسألها :

- " كيف كان العرض اليوم في رأيك ؟ " .

- " رائع ، أنت تعرف ذلك " .

وافترت شفتاه قليلا :

- " شكرا لك ".

وظلت عيونهما متشابكة النظرات لثوان ، وأحست "تيفاني" بأن الدنيا تدور كلها حول البقعة التي التقيا فيها أول مرة ، ولوت ذراعها محررة نفسها منه .

ومد يده بعصاه ، قائلا:

- " انتظري ، إني آت معك ". ولكنها شقت الجمع بسرعة واختفت قبل أن يلحق بها ، وهي تدعو الله ألا يلحق بها .

وكانت في طريقها للمطبخ حين سمعته يصيح وراءها .

استدارت له :

- " لا فائدة يا "هارلم" " وأخذت تضغط الحائط بظهرها ، وهو يدق بعصاه عبر الممر . وكانت أنغام الموسيقى آتية من بعيد .

- " ماذا تعنين بقولك لا فائدة ؟ " كان قد وصل لها ، ومد يده يلصقها بالحائط ، وعيناه في مستوى عينيها .

- " أعني أنني مستقيلة . واطلب منك إلغاء العقد " . قال :

- " مستحيل " .

- " لا معنى للعيش هكذا . لم أبلغ من النضج ما يؤهلني للعمل معك"

واخذت نفسا عميقا ، وهي تشعر كيف تتخاذل ساقاها أمامه :

- " إنك تنظر للناس كتروس في آلة ، وقد يكون هذا ناجحا بالنسبة لإدارة فرقة رقص ، ولكن في مجال آخر ، يكون ذلك قاتلا " .

كان وجهه شاحبا ، يتفصد العرق من جبينه ، وبدت عيناه تخترقان روحها .

ومدت يدها تحاول أن تزيح أصابعه عن كتفها ، ولكنه كان ملقيا بثقله كله عليها، فتركت يده حيث هي وقالت :

- " ليس من المجدي أن أخبرك أنك أسرفت في الشراب " .

راقبت تنفسه وهو يلفح وجهها .

وضحك ضحكة خشنة :

- " وقبل أن تنقضي الليلة ، ساكون قد شربت المزيد . يا لكِ من متدينة غير معقولة يا آنسة "ملجروف" ، اتفرين لحظة وصولك للنجاح بسبب نزوه طائشة" . قالت :

- " ليس لدي ما اقوله لك يا "هارلم" " . وأغمضت عينيها ، متمنية لو تنفيه عن ذهنها كلية . وشعرت باصابعه تمسك بذقنها ، ثم ترفع وجهها لوجهه .

وقال بصوت غليظ ، اضطرت أن تفتح عينيها له :

- " اسمعي يا "تيفاني" ، افهمي هذا" وأخذ نفسا : "إنك بالنسبة لي تمثلين النور ، والحياة ، والحيوية . إن شبابك غال علي، فلا تبدديه ، هل تسمعينني؟" . ثم قال بصوت أشبه بالثوب الحريري حين يمزق :

- " اتتصورين أني أريد أن أجرك معي إلى الظلام ؟ " .

وركزت عينيها في عينيه ، ولم يكن فيهما أي تظاهر ، بل بدت روحه فيهما واضحة ، ورأت فيهما كربا لم تدرك له سببا .

- " لماذا تقول هذا يا "هارلم" ؟ أي ظلام ؟ لماذا يصعب عليك أن ترى ما انجزته من عمل رائع ؟ لماذا لا يكفيك هذا ؟ إنه كاف تماما بالنسبة لي " .

وانزل يده ، وانطبق جفناه لجزء من الثانية ، وتقلصت شفتاه في

ابتسامة قاسية :

- " إنك لا تدرين أي شياطين سوداء تقطن في ذهني ، أيتها العزيزة" . ورفع رأسه ، وعبرت وجهه تقلصات من الألم ، اعتصر قلبها إشفاقا عليه.

- " ماذا بك يا "هارلم" ؟ ما الذي يجعل الأمر سيئا لهذا الحد ؟ ألم يان الأوان لنسيان الماضي ؟ " .

وكانما وصل لقرار حاسم ، وبينما الموسيقى والضحكات تصل لآذانهما ، قبض على رسغها ، وجرها إلى الغرفة الرئيسية . وبدون أن يقول شيئا ، مد يده إلى صورة جذبها من مكانها ، ودفع بها ليدها وعيناه تقذفان بغضب متأجج ، وكانت صورة الصبي الممسك بباقة الزهور التي رأتها من قبل :

- " أترين هذا ؟ أتبدو عليه ملامح قاتل ؟ ولكنها الحقيقة " .

وجذب صورة أخرى :

- " وهذه ، أترينها ؟ هذه الفتاة مثال البراءة .هذا الجمال كله قد ولى، انتهى" .

وحملقت "تيفاني" في ذهول للصورة التي سبق لها أن رأتها ، صورة الولد في الثامنة عشرة ، والفتاة الأثيرية في الثوب الخفيف .

وضمت الصورتين لصدرها محملقة إليه :

- " لست فاهمة " .

وجذب الصورتين من يدها ، ثم هوى بهما على الزجاج فتحطم تحت يده ، وصاح :

- " لقد قتلتها ! هذه الفتاة الجميلة .. مع اثنين من رفاقها " وبدت عيناه وحشيتي النظرات وهما ترمقانها . لقد كنت سائق السيارة ، وقتلتهم جميعا .. "مونيشكا" ، وخطيبها ، مع شاب آخر من الفرقة . كانو ثلاثة من أصحاب المواهب النادرة . وفي أوج مجدهم يا "تيفاني" قتلتهم " . وأصبح صوته أكثر غلظة وهو يستطرد بسرعة :" لن أستطيع طوال حياتي أن أنسى ذلك ، فلا تحاولي أن تقولي لي إنه

انتهى . إن ما حدث لي أنا لا يساوي شيئا . فانا حي"!. ، ودق على صدره في أسى بالغ : " ولكنني أقول لك إنني ، حين كنت راقدا في المستشفى ، وددت لو مت ، بل صليت من أجل ذلك . فقدكان هذا كل ما يمكنني عمله . إذ اكتشفت اني ساعيش رغم كل صلواتي ، نذرت نفسي للإصلاح " ، وضحك بخشونة : كانني بالعمل الطيب سوف أصلح ما دمرته بإهمالي " .

وقبل أن تتمكن من أي كلمة تقولها ، رماها بنظرة جامدة ، وسار يعرج متجها للشرفة ودبت فيها الحياة فجاة ، فانطلقت وراءه :

- " "هارلم" ! أرجوك يا "هارلم" " . وامسكت بذراعه : " أرجوك ، لا تطردني من حياتك " ثم رفعت يديها وهي تبكي بكاء اليائس : " أرجوك يا حبيبي.. " واخذته بين ذراعيها : " لا تعاقب نفسك هكذا ، إنك تستحق كل حب " .

وكانت عيناها بحرا عميقا لا يسبر غوره ، ولكن صوته كان مفعما بالسخرية وهو يقول :

- " اعتقد انني ما زلت ماهرا في استدرار دموع المشاهدين . كان يجب أن تشاهديني في رواية "بتروشكا" " .

وظنت انه سيخليها وينصرف عنها ، ولكنه عاد يضمها له بقوة .

وبعد فترة قال :

- " "تيفاني" ، حبيبتي ، كم أنا محتاج لك ، لن أستطيع المقاومة للأبد " .

وبدون أن ينتظر منها ردا ، امسك بعصاه ، واستخدم دعمها له في السير ، وقادها عبر الممشى إلى باب آخر ، دفعه ، ودفع بها إلى الغرفة الصغيرة . ثم وقف معها في ظلامها . ثم قال متمتما :

- " "تيفاني" ، لم تفعل بي فتاة من قبل ما فعلته بي . ساعديني ، إني أريد أن أحرك مني ، أرجوك .. ساعديني . افهميني يا أغلى حب لديّ ، إن روحي تتمزق ، ولا أستطيع التحمل " .

وعادت دموعها تجري من عينيها لوقع كلامه ، وردت عليه :

- " إني أحبك يا "هارلم" ، أحبك ، وملك يديك ، ولن أتحرر منك مهما طال عمري أو عمرك . إنني أسيرتك باختياري " .

ثم عادت تهمس له : " قل لي إن الظلام قد انتهى ، أرجوك يا حبيبي، قل لي إنه انتهى " .

وانهارت مقاومته تحت إلحاح حبها .

وتسلل الفجر من خلال النافذة ، وكانت ليلة الليالي بالنسبة لها ، علمت أن الحياة لن تكون كما كانت من قبل بعدها . لقد شعرت بانها لمست روح الحياة وجوهرها ، ورفعت راسها تتامل عينيه النائمتين ، وهمست باسمه في رقة .

وتململ في رقدته ، ثم فتح عينيه فراها ، فمد يده مخللا شعرها باصابعه ، وقال :

- " لا تحبيني بهذا القدر ، أرجوك يا ملاكي ، ليس بهذا القدر " .

واخذت تحدق فيه محاولة ان ترى وجهه :

- " أي قدر يا "هارلم" ؟ " . وتغيرت نبرتها وهي ترى شيئا عميقا في عينيه أرسل الرعدة في بدنها : " إن هذا ليس بيدي " .

وانفجر قائلا :

- " لا ، أرجوك ، لا يا "تيفاني" .. يالسماء ، لقد فقدت السيطرة على نفسي وأنا أقاوم لأجعلك على بعد أمن مني كل هذا الوقت ! لم تتخلل فتاة قبلك روحي بهذا القدر ... " ودفع بها ورماها بتلك النظرة التي جعلتها تنتفض جالسة منتصبة من قبل . ثم ضرب يدها التي مدتها له : " "تيفاني" ، ما الذي حل بي بحق الله . اسمعي ، إنك جميلة ورقيقة ومرغوبة ، يجب ألا تفكري في ، إنني لست لك ، أنت تستحقين من هو أفضل مني ، إنني إنسان محطم ، صدقيني" . - " لا يا "هارلم" ، إنك كل ما أريد " .

بدا وكانه يستجمع قوة باردة ، يشحن بها نفسه ، ورات وجهه يغيض منه مظهر الحياة بجهد جهيد ، وبدا يرتدي ملابس الخروج بدون أن ينظر لها . فاندفعت إلى جواره ، وسالته وهي تشهق ذعرا :

- " إلى أين أنت ذاهب ؟ هل ستتركني ؟ " .

ودفع عنه يدها ، وتناول عصاه قائلا :

- " "تيفاني" ارجوك ، دعيني وشاني " .

وصرخت وهو يتجه للباب :

- " "هارلم" ! " .

- " ابتعدي يا "تيفاني" ، ماذا تريدين أكثر من ذلك ؟ الم تحصلي على ما تريدين ؟ " .

ورماها بنظرة جعلتها ترتعد : " ليس لدي ما أعطيه لك أكثر ! لم يتبق لدي شيء . لقد كنت صادقة حين قلت إنني صفر من الداخل ! لقد فقدت السيطرة على نفسي ، هذا كل ما في الأمر . فانسي كل ذلك ؟ " .

ونبس بلعنة مكتومة ، ثم واصل سيره إلى الباب .

وسرت حمى الياس فيها وهو يفتح الباب ، وجاءت الضحكات والموسيقى من الشرفة تنبئها بان الحفلة لا تزال قائمة . وصرخت :

- " إلى أين أنت ذاهب ؟ لا تتركني " ، وجرت كالمحمومة تتعلق بذراعه ، تنتحب في يأس : " إلى من تتركني الآن ؟ " .

وحملق إليها بنظرة إشفاق :

- " ليس هذا يا "تيفاني" ، لو عدت لامرأة اخرى ، فلن تكون سواك "

وقبض على ذراعها بقوة جفلت لها ، ولكنها لم تتراجع . فحملق إلى عينيها بعينين فيهما كل ما قيل من قصص الحب وأحلامه ، ثم زمجر قائلا :

- " ما هذا الذي فعلت ؟ سامحيني .. وانسيني " .

وقبل أن تجد جوابا ، دفعها وخرج للممشى ، وأدركت من صوت الباب الخارجي انه قد خرج عن نطاقها .

والتقطت رداء من فوق كرسي ، وركضت وبلاط الممر بارد تحت قدميها العاريتين وانفاسها تتلاحق وهي تتجه للسلم .

كان قد وصل البهو حين استطاعت أن تلحق به ، ولكنه نهرها بغلظة لكي تبقى مكانها .

فوقفت ترتعد وهو يأخذ طريقه خارج المسرح .

وأمسكت رداءها حول جسدها وهواء الصباح يتخلله ، ومدت له يدها متوسلة .

- " "هارلم" ، انتظر أرجوك " .

- " عودي ، لقد قضي الأمر " .

وراته يعرج على الرصيف ، متجها إلى سيارة "فرانك" الواقفة على قارعة الطريق . وحين وصل إليها ، استدار لها ، وأخرج من جيبه مفاتيح السيارة ولوح لها بها ، وقال صائحا :

- " قولي له ! لقد ظل زمنا طويلا يقنعني " .

وقبل أن تفهم ما قال ، كان قد أخذ مكان السائق ، وأدار المحرك ، وأطلقت صرخة ذعر حين رأت تعبيرات وجهه ، وهبطت للشارع غير واعية لكونها حافية، او لأن كل ما يستر جسدها هو رداء رقيق ، وانطلقت للسيارة تعدو بكل قوتها، ولكن رغم ركضها كان المحرك قد تزايدت زمجرته ، وبدأت السيارة تتحرك ببطء مبتعدة عن الرصيف ، ثم تتزايد سرعتها كطلقة نارية لامعة ، ولم يكن أمامها سوى أن تقف تراقبه وقد أسقط في يدها .

كانت عواطفها متأججة وهي تركض صاعدة السلم ، وتضع على جسدها بعض الملابس ، وهي تعلم جيدا أن قيادته للسيارة بهذه السرعة ليست أمرا عاديا . كانت أعصابها أشبه بخيط مطاطي شد على آخره ، وهي تبحث عن "فرانك" ، وراته جالسا أمام السور ، يراقب بزوغ الشمس .

وهتفت باسمه قبل أن تلقي بنفسها على وسادة تركية ، ثم تقول بصوت متكسر :

- "هارلم" .. لقد أخذ سيارتك ، أوه يا إلهي ، ماذا أفعل ! " .

ثم وجدت كل ما بها من توتر يتفجر دموعا حارة ، وأحست بـ"فرانك" يطوقها بذراعه ، ويرفع وجهها له .

وسألها بصوت أجش :

- " ماذا تقولين بحق السماء ؟ " .

- " إن ما قاله لم يكن مفهوما ، ثم انطلق بسيارتك ، فما معنى ذلك؟" .

- " فلتذهب سيارتي للجحيم، لست مهتما بذلك، إنني مهتم به ، ماذا قال ؟ " .

- " لقد قال اشياء كثيرة ، وقال إنك كنت تحاول إقناعه منذ وقت طويل .. هل ليقود السيارة ؟ " . ونظرت إليه متسائلة ، فهز لها راسه ، فسالت :

- " ما معنى هذا يا "فرانك" ؟ ما الذي فعلته أنا له ؟ " .

قال وهو يحركها برقة :

- "لا تلومي نفسك . لقد كان شيئا يجب أن يحدث إن عاجلا ام آجلا .. الم يقل اين هو ذاهب ؟ " .

وهزت له راسها .

وعاد يقول لها :

- " لا تلومي نفسك ، فلن يصاب بسوء . فالسيارة الية ، ولن تكون قيادتها مشكلة له ، وهذا امر يجب عليه ان يواجهه " واخذ يربت شعرها في حنان شديد وقال لها :

- "إنه لا يريد أن يسامح نفسه على ما حدث ، ولا أن يتقبل انها ليست غلطته" .

وسالته :

- " ماذا حدث يا "فرانك" ؟ . لقد قال إنه قتلهم " .

- " لا ، لقد كان خطا تصميميا في السيارة التي كان يقودها ، ولكنه لا يريد ان يسمع .. إنه يريد أن يكون مسيطرا على كل شيء ، ولا يقبل ان يفقد السيطرة حتى ولو بخطا غيره " .

وشعرت برجفة في أعماقها :

- " اهذا ما يقاومه دائما ، فقد السيطرة ؟ " .

ثم طاف بذهنها الصراع الذي كان ينتابه الليلة السابقة . واحمر وجهها ، ولكنها رات أن "فرانك" ذو حكمة وتفهم ، فهمست له :

- " إذن فلن يقبل ما حدث بيننا هذه الليلة ... "

وكانت عيناها مثقلتين بالهم وهي ترفعهما فيه :

- " ماذا لو .. لو انه .. " وكانت الكلمات افظع من أن تستطيع نطقها.

وهدأ "فرانك" من روعها قائلا :

- " سوف يعود . لقد قلت لك إن هذا أمر كان لابد منه . لقد كان يرفض القيادة منذ الحادثة ، وكان هذا تحديا يجب عليه أن يواجهه ، يجب عليه أن يعلم انه ليس بإمكانه التحكم في كل الظروف . فلن تكون لبشر - مهما كان - السيطرة الكاملة ، وهذا امر يجب علينا جميعا أن نتقبله ، وعليه أن يتعلمه" .

وجلسا معا لساعة اخرى ، والشمس ترتفع إيذانا بيوم حار جديد . ولم تكن "تيفاني" واعية للالوان الزاهية التي تضفيها الشمس على قمم مباني المدينة فتبعث فيها الحياة ، ولمعت اسطح منازل لندن كاطباق فضية ، وكانت الشوارع لا تزال في سباتها ، تتاهب لان تدب فيها الحياة والنشاط .

وحين رحل آخر مدعو للحفلة في الثامنة ، هبت واقفة متصلبة الجسد ، وتمتمت :

- " لن اتحمل ان اجلس هكذا بلا عمل سوى الانتظار . سوف أطلب المستشفيات .. " .

واوقفها بلمسة حانية :

- " إنني أعرف "هارلم" يا حبي ، إنه ليس بالذي يهجرنا وهو يعلم حاجتنا له".

وكانت تعلم انه محق ، ولكنها شكرت له - في قلبها - أسلوبه الذكي معها .

أيهجرها ؟ ... لعله لو فعل تكون آخر علاقة لها بالحياة .

ولم تهب نسمة ريح واحدة على الظلة التي خيم عليها الحزن بعد صخب الليلة السابقة .

وكان ذلك الجو الخانق محتاجا لعاصفة ليصفو بعدها ، ولكن لم

يوجد ما يبشر بنقطة مطر .

وصنع "فرانك" القهوة ، واتى بها للشرفة .

وبعدها دخلا الغرفة ، وفي اتفاق صامت بينهما جلسا بجوار جهاز التليفون. وبدأت اصوات بداية اليوم تاتي إليهما من بعيد .

وسرعان ما شحب وجه "فرانك" ، وبدأ يقول :

- " لقد كان لي في السراء والضراء . إنه من افاضل الناس . الم تسمعي بالمنحة الدراسية التي تبرع بها فور أن سطع نجمه ؟" فهزت راسها ، واستطرد: " ليس هذا كل شيء . إنه يدعم قرية في "الهند" ، ويمول ثلاث مدارس في مناطق مختلفة من العالم ، ويخطط لإنشاء مدرسة للرقص هنا في الحي الشرقي ، على غرار ما فعله في الولايات المتحدة " .

- " ليس لديّ اية فكرة عن كل هذا " .

ونهض في قلق ، وتوجه للشرفة ، وحين عاد كان وجهه مكفهرا وقال :

- " إن مشكلته انه لايقبل ان يعيش في الظل . إنه يريد ان يشعر بانه يملك القدرة على تحدي الموت ، إنه يؤمن بان الفنّ اقوى من الموت وانه يمكنه ان يكون كذلك ايضا . لو كان يرضى فقط بان يقبل ان يكون بشرا مثلنا " .

قالت وقد استوعب ذهنها الحقيقة كلها :

- " لو كان يقبل ذلك ، لقبل حبي له كتعويض عما حل به ، اليس كذلك؟" .

الفصل التاسع

كلما عادت "تيفاني" بذاكرتها لصباح ذلك اليوم الذي امتدت ساعاته سلسلة متواصلة من العذاب ، تعجبت كيف امكنها ان تتحمل إلى أن جاءت مكالمة "هارلم" . ولم تكن الأيام التالية سوى محنة فظيعة ، إذ كان استمرار غياب "هارلم" يمثل لها عذابا يقطع أوصالها . إنه لم يعد ولكن على الأقل اطمانت إلى سلامته .

وكانت أول مكالمة له قد جاءت قرب الظهر من "اسكتلندا" ، في أقصى شمال الجزيرة البريطانية ، إذ قال صوته الآتي عبر الأسلاك من ذلك البعد الشاسع : - " لقد عملت بنصيحتك يا "فرانك" ، واخذت سيارتك في رحلة كاحسن ما تكون الرحلات . لقد وصل العرض إلى بر الأمان الآن ، يمكنهم الاستمرار بدون حاجة لي " .

ورفع "فرانك" راسه قائلا :

- " "تيفاني" هنا ، هل تحب أن .. " .

ورات رد الفعل على وجه "فرانك" الذي كساه الحرج ، فاشاحت

بوجهها لا تريد سماع اعتذارات . وقد قال لها "فرانك" بعد ذلك إن عليها ان تاخذ الأمور خطوة خطوة :

- " إنه لم يتقبل بعد ما حدث . إنه لم يجد نفسه بعد ، وسيعود حين يكون مستعدا لذلك " .

وبعد عدة أيام ، جاءت مكالمة من "نيويورك" ، حيث سافر إلى هناك بسبب بعض المشاكل الإدارية للمدرسة التي انشاها تطلبت وجوده .

وبعد اسبوع ، جاءت المكالمة من "الهند" ، وكانت لـ"مارجريت" خاصة ببعض المسائل المالية ، ثم انصرم الجزء الأغلب من شهر يوليو (تموز)، و "تيفاني" لم تتلق بعد كلمة منه .

وكان "فرانك" قد شجعها على ان تعاونه في العمل في بعض الأعمال التجريبية ، المتعلقة بفرقة أوبرا صغيرة ، قائلا لها :

- " إن هذا في نفس الشارع الذي تقطنين فيه . واريد لها شخصا تحت الخامسة والعشرين ، ذا عينين شابتين " .

- " إنك غاية في الرقة يا "فرانك" " . وانكبت على العمل ، تذهب إليه كل يوم، لتختلي إلى منضدتها ، ثم تعود للمنزل في المساء ، تبدو عليها الثقة بالنفس ، ولكنها في الواقع كانت تضم جرحا غائرا بين جوانحها .

وفي مطلع اغسطس (آب) ، حصلت على إجازة قضتها مع "جيني" واخرين، وبعد عودتها ، وكانت شكوكها قد تاكدت ، حجزت موعدا في مستشفى بلندن ، وناقشت وجهات النظر المؤيدة والمعارضة للإبقاء على ابن "هارلم" الذي تحمله منه . وكانت في اعماق نفسها تعلم ما تريده . إن مستقبلا باهرا يلوح امامها . ولكن الإحساس بانها تحمل ثمرة منه في أحشائها ، تكون من لحمه ودمه ، اكتسحت كل فكرة اخرى . إنها لم تكن تملك خيارا في الواقع. وقامت بزيارة والديها في "فير هام" ، حيث اطلعتهما على ما حدث ، وما تنتويه، بكل هدوء . ولم يحاولا من جانبهما التدخل في رايها ، تاركين الأمر لحسن تقديرها . وبعد فترة جاءها خطاب مشجع من "فاي" أختها في

مانشستر . ولم يكن أي من "بات" او "جيني" بالمنزل ، واحست بالارتياح لوجودها وحيدة بالسكن ، متجنبة الاضطرار للشرح في هذه المرحلة . وكانت تقضي ساعات المساء جالسة إلى النافذة ، تتطلع للشارع ، وذهنها مشغول بالأسئلة حول : اين هو الآن ؟ وماذا يفعل ؟ ومع من ؟ .. وعما إذا كان ذلك الألم الأسود قد فارقه ؟ .

وبدات آلام الحمل الصباحية مبكرة عن موعدها ، وبدأت تشعر بإرهاق متزايد يعوقها عن أن تصل للاستوديو في الميعاد . ولم يكن بإمكانها المواصلة إلا بالانكباب على العمل بكل ما يمكنها من قوة . ولم يفت "فرانك" ملاحظة ذلك ، ولم يكن ليمر عليه مرور الكرام .

وقال لها ذات مرة على الغداء في مطعم قريب ، وكان "جاسون" و"جافين" غائبين في مهمة ما :

- " إنك ترهقين نفسك يا عزيزتي اكثر من اللازم " .

وردت كاذبة :

- " إنني بخير " . ولكنها كانت تدرك أن قولها هذا غير مقنع ، لما كان يبدو على ملامحها وفي نظراتها ، رغم محاولتها السيطرة عليها .

وفي نهاية ذلك الأسبوع ، قال لها :

- " إنه قادم بعد عدة أيام ، هل تريدين أن تتصلي به ؟ " .

وهزت له راسها رفضا .

وتجمدت قسمات وجهه :

- " حسنا ... هل تريدين أن اخبره انا بشيء ؟ " .

وهزت راسها مرة اخرى :

- " دعه على راحته " . فرد مؤنبا برقة :

- " لا يمكن أن تستمرا في لعبة البحث والاختفاء هذه ، عليك ان تكلميه وقتا ما " .

واحنت "تيفاني" راسها ، عالمة انه على حق ، ولكنها ردت بغباء :

- " إن الأمر متروك له " . ثم حاولت أن تبتسم قائلة : إن هذا هو قدري " .

كان بإمكانها أن تشعر بعد عدة أيام ، بانه قد عاد . فقد تغير الجو ، وأما "جاسون" و "جافين" ، واللذان خمنا وجود شيء بينها وبين "هارلم" ، فقد أخذا يقلدان "فرانك" في مشيته الحذرة .

ولم تتوقع "تيفاني" أن تراه على الفور ، ولذا فقد كانت صدمة لها حين قابلته قرب محل قريب ذات صباح ، توجهت إليه لتشتري نوعا من الطعام الحريف الذي بدأت تشعر بالميل له .

كان آتيا من ناحية المسرح ، وتلاقت عيونهما في لحظة واحدة ، فتوقفا معا على الفور .

وكان "هارلم" هو الأسرع في استعادة نفسه ، فسار على الرصيف تجاهها متمهلا .

- " مرحبا . فرصة سعيدة أن أراك " .

كم كانت تتوق لهذه اللحظة منذ وقت طويل ، فلما تحققت رغبتها ، فإنها لم تزد على أن تحملق إليه ببلاهة ، بحثا في عينيه عن شيء يماثل موجة الفرح التي انفجرت بداخلها لرؤياه ، وكانت لقوتها تدفعها للتساؤل إن كانت قد تركت أثرا في وجهها ، كتعبير عن النار التي تأججت بين ضلوعها . ويبدو أن شيئا من ذلك لم يحدث ، فقد هز "هارلم" كتفيه ، وتهيأ لاستئناف السير .

وهتفت به ، لا لشيء إلا لتستبقيه :

- " لقد غبت وقتا طويلا " . فرد باقتضاب :

- " كنت في حاجة للراحة ، فقد وصلت لنقطة الانهيار بدون أن أدري . لقد كان الأطباء الملاعين على حق في حاجتي للراحة . والحصول عليها ولو متأخرا أفضل من عدم الحصول عليها إطلاقا " .

وكان لا يزال يستعمل عصاه ، التي كان يقرع بها بلاطات الرصيف في تلك اللحظة ثم رفع لها رأسه : "كيف حالك . بخير مع "فرانك" ؟ " .

وأومأت برأسها :

- " لقد طلب مني العمل في تصميمات أوبرا جديدة . والعمل بها ممتع " . وكان الشك يساورها فيما إذا كانت مشاعر الأسابيع الماضية

يمكن أن ينطبق عليها هذا الوصف .

- " حسنا ، أرى أنه يفجر ما فيك من طاقات . " وتنقلت نظراته على صفحة وجهها : " أعتقد أن طلب استقالتك كان نهائيا " .

وفتحت عينيها على تمامهما :

- " لا . لم أكن أعني ذلك .. "

فقاطعها :

- " لا بأس . إنني على استعداد لإعفائك ، فمن الواضح أن "فرانك" يعرف قدرك أكثر مني " .

وردت متعجلة :

- " إنه لن يمانع أن أعمل في الموسم القادم معك " .

- " إنني لا أحلم بأن أعيدك لقطيعي مرة أخرى " كانت بشرته مسمرة من ترحاله ، ولكن وجهه كان داكنا ، وودت لو تطوقه بذراعيها ، وتضمه إليها ، تقول له وتسمع منه ما يتبادله الأحبة من أحاديث . ولكنه كان هائل الحجم أمامها ، وعلى وجهه منظر الغضب القاتم ، فتخاذلت شجاعتها ، ولم تدر كيف تبدأ لتحكي له عما تضمه في قلبها تجاهه . ولما طالت لحظة التردد جزءا من الثانية، كانت الفرصة قد ولت .

لقد استدار بحدة قائلا :

- " إذن سانصرف " . وأخذت تراقبه وهو يفكر بسرعة إلى أن استدار عند الناصية . وحين اختفى ظلت تحملق في بلاهة إلى الموضع الذي كان يشغله على الرصيف .

ولم تره بعد هذه المقابلة المقتضبة بقية الأسبوع . ويوم الجمعة ، وهي تتأهب للانصراف ، ذكرت موضوع العقد مع "فرانك" .

قالت وهي تحاول منع شفتيها من الاضطراب :

- " لست أدري ما الذي يجب علي عمله . لقد كنت أظن أن عقدي مع "هارلم" ، ولكنه يقول إنه سوف يحيلني إليك إذا .. " .

وقبض "فرانك" على كتفها بشدة :

- " حسنا . يبدو انه لابد من ان يواجه احد "بارنسكي" العظيم بكلمة.. ".

- " "فرانك" ، ارجوك ، إياك ! " . وابتلعت ريقها : " ارجوك لا تقل اي شيء.. اي شيء خلاف العمل . اقصد .. " ثم رمشت وأشاحت بوجهها.

- " لا اريد "معروفا .. " .

- " وبدا على وشك الانفجار . ولكن حين التفتت إليه "تيفاني" مرة اخرى ، وامسكت بذراعه مستجدية ، هز رأسه متعجبا وسال:

ما الذي حل بكما بالضبط ؟ " . ولكنه لم يضغط عليها . وحين اخذت منه وعدا ، هز كتفيه في تسليم .

وكانت اول مرة تدرك فيها ان "فرانك" تحدث معه عن اي شيء ، صباح يوم الاثنين .

كانت وقتها مستغرقة تماما في صنع نموذج دقيق ، حين سمعت باب الاستوديو يدفع بعنف .

وكان "فرانك" بالخارج ، وظنت انه هو قد عاد ، فاستمرت في عملها إلى ان فوجئت بظرف سميك يوضع امامها على المنضدة بعنف ارتجفت له .

ودوى صوت من خلفها في اذنيها :

- " اليس هذا ما تريدين ؟ كان بإمكانك ان تكوني اكثر تهذيبا وتحضري بنفسك لتطلبيه " .

ورفعت رأسها لتجد عيني "هارلم" الداكنتين في عينيها . واستدار منصرفا بعد ان رضيت نفسه بما قاله لها .

وهبت على قدميها صائحة :

- " "هارلم" " . واختطفت الظرف واخذت تفضه باصابع مرتعشة وهي تركض خلفه . وبنظرة خاطفة عرفت محتواه ، وهمست له :

- " يجب ان تسمعني " وكانت واعية للعيون المتسائلة التي ترقبهما.

- " لقد سمعت كل ما أريد سماعه " . وتطلعت عيناه فيها ، ولكن يبدو ان شيئا ما في ملامحها لم يكن يتوقعه جعل ملامحه تلين قليلا .

فتوقف مستندا إلى الباب وقال :

- " لقد كنت دائما ممزقة بين رغبتك في العمل معي او تركي ، أعتقد ان قلة كلامك تنبع من طباعك الإنجليزية الباردة " .

- " لم اكن قط ممزقة بين الرغبتين : إن كنت اريد ان ابقى معك .. او اتركك ولا اراك ابدا " .

وتقلص جانب فمه خفيفا :

- " لهذه الدرجة ؟ " .

وظلت عيونهما متشابكة لحظة ، ثم هزت رأسها :

- " وماذا يا ترى رأيك الآن ؟ " .

ورفع رأسه محملقا إليها بقوة ، ثم نظر للخارج خلال الباب نصف المفتوح ، واحست به يصارع قوة داخلية .

وسالته وهي تنتقي كلماتها بكل عناية :

- " هل قال لك "فرانك" إنني أريد ترك العمل معك ؟ "

- " ليس بالضبط ، ولكن هذا ما استنتجته بنفسي " . ودار راجعا لمواجهتها : - " إنك حين لم تعودي لتري كيف تسير اعمالي جعلني ذلك افهم رغبتك جيدا".

وشعرت بقلبها يرفرف في حناياها بشيء من الأمل :

- " لم اكن ادرك ان علي أن أحضر لك .. أو أنك سترحب بقدومي " .

وتنهد :

- " اتذكر ان هذا قد حدث منك مرة من قبل . واضح انه من الصعب فهم ما يدور في رأسك .. " .

فابتسمت له ابتسامة واهنة :

- "جدا" . وضيق من عينيه كما لو كان يرى ما يدور في رأسها .

وكان مجرد الوقوف بجواره يفعل بها الأفاعيل ، وبدأت ترى ان الغضب الذي أتى به كاسيا وجهه ، بدأ ينحسر متحولا إلى شيء آخر

اكثر رقة .

وكانما ليؤكد ذلك ، مد يده وتناول منها الظرف بين اصابعه ، ورفع حاجبيه وقال :

- " لا تريدين ؟ " . فهزت راسها قائلة :

- " لا ، لا اريد " .

فاسند عصاه إلى الباب ، واخذ يمزق الصفحات الموجودة بالظرف إربا ، ثم اعاد الظرف لها وقال :

- " إذن عليك ان تعودي للعمل باسرع ما تستطيعين يا انسة "ملجروف" ، فامامنا عرض جديد محتاج لتصميماتك " . والقى نظرة ساخرة على الـ"تي - شيرت" الفضفاض الذي ترتديه ، وقال :

- " إنك تصرين على إرهاق غريزة التخيل لدينا " ثم قال قبل ان ينصرف:

" سوف اشارك "فرانك" فيك إلى ان تنجزي له عمله ، وبعد ذلك ... لن ينازعني فيك احد " .

وفرقع الباب منغلقا وراءه ، وشعرت "تيفاني" بتقلص في احشائها ، وترددت كلماته في ذهنها تحمل اكثر من المعنى السطحي لها . وقاومت بعنف الرغبة ان تندفع وراءه .

واخبرت نفسها : " يجب ان اعالج الأمر خطوة خطوة ، لقد بدانا الآن نتبادل الحديث بدون ان يمسك احدنا بتلابيب الآخر ، وفي الوقت المناسب ، سوف نتحادث كما يفعل العشاق " .

* * *

وعادت للعمل لديه بعد يومين . وعلى ضوء تعليقه حول قميصها الفضفاض ، ذهبت للعمل مرتدية تنورة واسعة مشجرة ، فوقها بلوزة بيضاء يحيط بهما حزام جلدي ازرق عريض . وباعتبار انه دائما يظهرها كقزم امامه ، لبست حذاء ذا كعب عال في لون ازرق متوافق .

وجعلت شمس الصيف ساقيها تلمعان بلون ذهبي . وحين القت نظرة اخيرة على المراة قبل ان تخرج ، لاحظت ان الشحوب الذي كسا وجهها الأسابيع الماضية قد بدا يتحول إلى ازدهار خفيف اضاف لمسة جمال للمعان بشرتها ، واما عن نظرة الخوف التي سيطرت على عينيها تلك الفترة ، فقد بدات تحل محلها إشراقة انوثة اشد عمقا . حتى شعرها احست بان لمعانه قد زاد جمالا . ورات وهي تنظر إليه متهدلا على كتفيها ، انها قد اعدت نفسها جيدا للنظرة التي سيتفحصها بها "هارلم" حين يتواجهان.

وقالت لنفسها وهي امام باب شقته :

- " حسنا يا سيد "بارنسكي" هانذا قادمة " .

وادخلتها "انيا" وهي تشير للغرفة البعيدة ، وتربت ذراعها وهي تدفعها إليها مع فيض من الكلمات الودود باللغة الروسية ، ثم اختفت في المطبخ . واخذت "تيفاني" طريقها بمنتهى الهدوء على البلاطات الباردة الخضراء ، حتى الباب في نهاية الممشى .

وكان منحنيا على مجموعة من الأشرطة حين فتحت الباب . ونظر من فوق كتفيه ، قائلا حين رأى من فتح عليه الباب :

- " انصتي إلى هذه الرقصة رقم واحد . غير معنونة " ثم دار حين بدا اول الألحان الحزينة العذبة يملأ الغرفة . وفتح فمه ليتكلم ، ثم اغلقه .

واما "تيفاني" ، فقد وقفت عند المدخل وقد انتابتها صدمة مفاجئة إذ شعرت بانه لا يزال راغبا فيها . وتلاقت رغبتها الجياشة مع رغبته، بينما النغم الحزين المنساب في عذوبة يزداد قوة ، كما لو كان يحملهما وراء اللحظة إلى مملكة اخرى .

وكان "هارلم" هو الذي قطع الصمت ، إذ أدار راسه بسرعة ، مغلقا الجهاز بعنف :

- " اللعنة - علينا ان ... " ثم نظر وراءه وصاح ، متفاديا ان ينظر إليها : " "انيا" ، احضري لنا القهوة هنا !" .

ثم انطلق يعرج للباب ، وأخلت له "تيفاني" الطريق ، وراح هو يتكلم عدة عبارات سريعة بالروسية مخاطبا "آنيا".

وحينما عاد ، قال لها باقتضاب :

- " اجلسي ، أريد أن أشرح لك الألحان أولا ، ويمكنك أن تأخذي الأشرطة لتسمعيها في بيتك ، إنني .." . ودار برأسه كأنما يبحث عن شيء ، ثم ألقى نظرة على ساعة يده : " علي أن أذهب بعد ربع الساعة ، ولكن يمكننا أن نتكلم في أثناء تناول القهوة . إن لديك جهاز كاسيت راقيا في المنزل بالتأكيد " .

وهزت رأسها ، مضطربة لهذا التغير المفاجئ في مسلكه .

ودفع بحافظة أوراق في يدها :

- " ألقي نظرة على هذه ، وسوف أذهب لـ"آنيا" وأرى ما تفعل " .

وغادر الغرفة قبل أن ترد عليه بكلمة . ولم يعد لربع الساعة ، استطاعت خلالها "تيفاني" أن تجمع شتات نفسها ، وتتخذ ملامح باردة تقوقعت فيها وهي تتصفح الأوراق إلى أن عاد .

ووضع صينية القهوة على منضدة منخفضة بينهما ، واتخذ مجلسه على كرسي مذهب .

وسألها بدون أن ينظر إليها ، مركزا على قدحي القهوة القاتمة القوية التي يصبها :

- "هل أعجبتك ؟" .

- " سؤال سخيف " . لقد استشفت مما قرأته أن المقطوعة تراجيدية عنيفة ، تتخللها بضعة ألحان ماجنة بهدف إشاعة بعض المرح فيها . ورغم جوها العام، كان نجاحها الجماهيري مؤكدا . ولاحظت أيضا أن الموسيقى ذاتها كانت حديثة ، ملحنة بالحان الجاز وما يسير على وتيرتها ، يفوح منها مذاق أعمال تجريبية جريئة لمؤلف موسيقي أمريكي شاب .

وقال لها وهو ينظر في كل مكان عدا وجهها :

- " إنها مقطوعة جحيم "دانتي" ، ملحنة بمذاق القرن العشرين .

أعتقد أنها تجربة مثيرة " .

- " مثيرة ؟ "

ونهض وخطا في اضطراب إلى باب الشرفة . وظنت أنه سيخرج إلى الشرفة، ولكنه توقف ، وقال وظهره لها :

- " أنا سعيد لأنك ناضجة بما فيه الكفاية .. أقصد ، لأن نعمل معا . من السخف أن نفقد التعاون المثمر بيننا، ونحن نكون فريقا ممتازا ، لمجرد أننا فقدنا سيطرتنا على أنفسنا ذات ليلة " .

ثم استدار ، وبدا وجهه ظلالا وخلفه سماء لندن المشرقة : " لست أريد أن أقترب منك لدرجة الخطورة مرة أخرى .. فلا يمكنني أن أجازف بفقد نفسي فيك . وأنت تعرفين بالتأكيد أهمية هذا بالنسبة لي" .

وشعرت بأصابعها تطبق على مجموعة الأوراق ، وبذلت جهداً لتخفف من قبضتها عليها .

وردت عليه بدون أي خلجة في صوتها :

- " إذا أعطيتني الأشرطة ، فسأخذها لأسمعها في البيت . هل يمكنك أن تمنحني يومين حتى أصل معها لشيء ؟ أم تتوقع مني نتيجة فورية ؟ " .

وبدا وكأن حملا ثقيلا قد انزاح عن كتفيه :

- " فتاة طيبة . اليوم بعد الباكر " .

وهزت رأسها بالموافقة .

- " أوه ، "تيفاني" ، أرجوك لا تختفي طويلا ، فإنني لا أريد أن أقضي العمر متسائلا أين أنت" .

قالت له في صمت وهي تكمل قهوتها :

- " ليتك تفعل ، فتشعر بمثل ما أشعر به نحوك " .

إن التوهج الذي رأته في عينيه لحظة دخولها لم يكن سوى تعبير عن رغبة رجل في امرأة ، وكان يمكن أن يكون بشأن أي امرأة أخرى . وقد أنبأها تباعده المتعمد أنه لا يحمل لها أي مشاعر خلافا لذلك .

بعد يوم وليلة ، قضتهما "تيفاني" مثبتة في كرسيها أمام جهاز الكاسيت ، وحيدة في المسكن ، شعرت بانها قد قطعت رحلة في أعماق الجحيم ، ثم عادت . ومن قراءة ملاحظاته، والاستماع مرة بعد أخرى لكي تتذوق جيدا جحيمه ، أدركت أنه يتفجر من طبقة الآلام السوداء المدفونة في أعماق نفسه ، والتي دفعت به أن ينطلق عند الفجر بالسيارة منذ أسابيع خلت . وبدت لها الحقيقة ساطعة ، لم تكن هي المرارة ، ولكنه الحزن العميق الذي كان مسيطرا على عقله.

وبدا بنفس الوضوح أنه قد ارتفع على ما به من آلام ، ليصوغها في الحان ستهز مشاعر المشاهدين حتى ولو لم يشاركوه في مصدرها . واطفأت الجهاز للمرة التاسعة ، ورجعت بظهرها مغمضة عينيها . هذا هو الشيء الممتع التالي لأن تكون بجواره ، أن تشاركه انفعالاته الذهنية .

وكانت العاشرة صباحا حين تابطت حافظة الأوراق ، واتجهت لمسكنه .

- "مرحبا". كان واقفا أعلى السلم ينظر إليها ، ويحييها وهي صاعدة إليه ورفعت بصرها له ، ثم أشاحت بوجهها في اضطراب وهي تحس بان عينيه لا تتحولان عنها ، وشعرت كانه كان واقفا متكئا على الباب هكذا ، منذ مدة ، منتظرا مقدمها .

وقالت محيية :

- " أرجو ألا أكون قد تاخرت عليك ". كان الغثيان الذي يلم بها في الصباح يتراجع ، ولكنه أخذ منها ذلك اليوم وقتا أطول . كانت ترتدي ثوبا من ثيابها القديمة ، ابيض اللون ، بحزام جلدي أزرق ، اضطرت لأن تستخدم الثقب التالي منه ، وعدا ذلك . لم تكن تشعر بانها قد تغيرت في شيء ، ورماها بابتسامته القديمة ، مشرقة وساخرة قائلا:

- " إنك متوردة اليوم يا آنسة "ملجروف". يبدو أن سبتمبر يوافقك ".

وسار، وعاد متعثرا إلى غرفة الاستقبال، وقال : "والآن، ماذا عندك لي".

قالت وهي تتامله من الخلف ، تريد أن تستمتع بوجوده قبل أن

ياخذهما العمل عن أي شيء آخر :

- " إنك بالفعل سائق عبيد يا "هارلم" ".

- " إيڤان" الرهيب . أليس هذا ما يقوله القوم عني وراء ظهري ؟ ".

قالت مداعبة ، مركزة نظرتها على فمه حين أدار وجهه لها :

- " ضمن أشياء أخرى ".

وشعرت بشيء يشبه الشهد المذاب يسري بداخلها ، وحتى تخفي ما سوف تفضحه عيناها ، اتجهت للمنضدة ، ووضعت عليها حافظة الأوراق قائلة :

- " هاك ".

وجاء من ورائها قائلا :

- " أين الأشرطة ؟ ".

- " في حقيبتي " وأخرجتها ، وشعرت برعدة حين احتكت أصابعها باصابعه وهي تسلمها له .

واستدار ليضعها في الجهاز ، فخطت تجاهه قائلة :

- " لا داعي لذلك ، فكلانا قد حفظ الألحان عن ظهر قلب ". وكان الاستماع لتلك الألحان معه ، وبالنظر لكل الأفكار التي انتابتها على مدى اليومين السابقين، أقوى من احتمالها . ورماها بنظرة متحيرة ، ولكنه أطفا الجهاز .

وسالته وهو يعود للمنضدة ويفتح حافظة الأوراق :

- " أين "أنيا" ؟ ".

وقال بدون أن يرفع راسه :

- " إنه يوم راحتها ".

واتجهت إلى الشرفة بينما هو يقرأ ملاحظاتها . وكانت الأوراق الجافة قد استطاعت أن تحمل نفسها إلى المكان ، متطايرة من أغصان الأشجار أسفله . فالصيف على وشك الانتهاء .

وحين عادت له وجدته غارقا وسط الأوراق المبعثرة حوله وهو جالس على الأريكة ، وقلم من الرصاص معلق باعلى إحدى اذنيه ، وعلى

وجهه علامات التركيز ، ولكنه رفع راسه حين اقتربت ،وقد كست ابتسامة وجهه :

- " إنك ماهرة حقا ، وانا احبك بالفعل ". وقبل ان تتمثل العبارة التي تفوه بها ، كان قد انصرف إلى عمله قائلا : " لو كنت قد اصررت على التخلي عن العمل ، لجئتك متوسلا ان تبقي ".

وتمكنت - بصعوبة - ان تقول :

- " من أجل .. من أجل الفرقة بالتاكيد ".

ورد في صوت عميق :

- " نعم ، من أجل الفرقة ".

فاشاحت وجهها وعيناها تترقرقان بالدموع ، وقالت :

- " بالتاكيد ". ثم تظاهرت بالضحك وهي تواصل :

- " لكم كنت اتوق ان اراك وانت تتوسل ".

- " "تيفاني" ! " وحين التفتت إليه ، كان لا يزال منكبا على ما أمامه ، وطرق الأوراق بإصبعه بدون أن يرفع راسه إليها وقال :

- " هيا نتدارس هذه ".

واتجهت إلى مقعد مرتفع ، وسحبته عبر الغرفة ، وحين رآها تفعل قال :

- "لن تستطيعي الرؤية جيدا هكذا . تعالي واجلسي هنا ".

وتسارع نبض قلبها لتصور جسده الممتلئ بالحيوية يصطدم بها عفوا في اثناء حديثه معها ، بدون ان يدري ما يفعله بها . وبجهد بالغ اجلست نفسها على ابعد مسافة منه ، منتصبة الظهر ، متشابكة الساقين ، متحملة عذاب الموقف في صمت . كان منهمكا في تحليل ملاحظاتها ، ووضع ارائه ، معطيا انطباعه بالرضا وعيناه تمران سريعا على الصفحات .

وقال أخيرا :

- " اراك تتصارعين مع افكاري حول الخاتمة ".

قالت :

- " إنها قاتمة أكثر مما ينبغي ، ورأيت انه يجب عليك ان تعيد النظر فيها ".

وسالها :

- " كيف ؟ ".

- " حسنا ، لقد تركت بطلك في الجحيم ، واكن كل إنسان ، مهما عظم جرمه، من حقه أن يتخلص من آثامه بالحب ". وكانت عيناها تتالقان بلونهما البنفسجي وهي تتجرا برفعهما فيه .

واشاح وجهه بعيدا :

- " اتظنين ذلك ؟ اتظنين ذلك حقا ؟ ". وبدا صوته آتيا من بعد سحيق .

- " هذا ما أعرفه ... إن الواقع يقول إن الحياة تمضي بلا توقف .. إن حياة جديدة .. " . وترددت قليلا ثم قالت : " حياة جديدة تولد " .

ووضع الأوراق جانبا ، وقال :

- " سوف افكر في هذه فيما بعد . أما الآن ، فاريد ان افكر فيك انت".

ومد يده يجذبها إليه .

- " لا يا "هارلم" .. " .

وقال بصوت اجش :

- " الا يمكن ان نكون اكثر نضجا حول هذا . إنك تعلمين كم احبك ، وارى في تكوين جسمك قمة الأنوثة . إن العلاقة لا يمكن ان تكون دائمة بيننا . فهذا امر لا يمكن ان اخاطر به ، ولكن ، يمكنني ان اسعدك لفترة ما ".

ورغم ما حز في نفسها لهذه الفكرة عن المستقبل المفقود بينهما ، فقد رضيت بهذا التطور . ولما تذكرت انه يتوقع منها دائما الخطوة الأولى ، تناولت راسه ، وضمته إلى صدرها في حنان واشتياق .

الفصل العاشر

صبغ الخريف ايام شهر سبتمبر (أيلول) باللون الذهبي ، وسار العمل للعرض القادم لذلك الفصل على قدم وساق ، يدفعه "هارلم" دفعا بالقوة التي توقعتها منه "تيفاني" . والقى افراد الفرقة بانفسهم في اتون العمل ، يريدون أن يصلوا به إلى أقصى قدر من الكمال قبل أن يسمح للجمهور بمشاهدته .

وكان "هارلم" في النهار عملاقا ، يفيض بالقوة الباردة ، ويعطي كل فرد حقه من الحكم الذي لا يعرف التحيز ، يراعي ويوجه ، ويثير الحماس ويفجر الطاقات ، وينهال باللوم والتقريع عند اللزوم ، إلى أن جمع فريقه في آلة تسير منتظمة إلى الكمال . وكانت "تيفاني" نصف واعية بحمى تجارب العرض هذه ، إذ إنها بعد أن انتهت من التصميمات ، عادت للعمل مع "فرانك" الذي استعارها للعمل معه ، وبدا مصمما أن يجعل وقتها كله مشحونا بالعمل . وقبلت ذلك بصدر رحب ، معتبرة إياه نوعا من فقد الذاكرة النهاري ، فهي تدرك انها لا

تكون بين الأحياء إلا عندما يحل المساء .

ذلك أنه عند المساء كان يعود إليها "هارلم" ، تشع الحمى من عينيه ، وتعلو وجهه ملامح مختلفة عن أي شيء ، رأته من قبل . كان يقبل عليها بنهم وكأن شيطانا قد تقمصه ، وكانت تسلم نفسها له كلية ، لا يغيب عن ذهنها تلك الثمرة التي تنضج بداخلها رويدا رويدا ، فتزيد حبها له اشتعالا ، ويزيد قلبها به تعلقا. ولا تعود لذاتها إلا حين ينبلج الصبح في يوم جديد .

ومع اقتراب موعد حفلة الافتتاح ، جاءها ذات يوم ، وجذبها إلى منطقة معتمة وراء الكواليس ، وقال :

- " هل نفذت التعديل الذي طلبته منك ؟ " . وبدا أن هذا السؤال عن التعديل لم يكن سوى ذريعة ليبدأ معها الحديث ، ثم قال بعد برهة بصوت أجش :

- " تعلمين أن هذا ليس ما أريد أن أحدثك فيه . فأنا لا أتحمل هذا يا "تيفاني" ، نلتقي كل ليلة في السر . أريدك أن تنتقلي لسكني لمدة أسبوع أو أسبوعين ، نطفئ فيهما ظمأنا دفعة واحدة وللأبد . سوف أبعث بسيارة تحضر متعلقاتك الليلة " .

وتضاربت مشاعرها بين الفرح واليأس ، ورفعت يدها إلى فمها كما لو كانت تحميه من هجوم آخر من جهته . وقبل أن تجد ردا ، ناداه صوت ، فهمس قائلا:

- " علي أن أمضي ، سأراك حالما ننتهي " .

ومضت إلى البناية المجاورة ، وكان "فرانك" مشغولا بلمساته الساحرة على لوحة أمامه . فتمالكت نفسها وسألته :

- " أتمانع في انصرافي مبكرة اليوم ؟ " .

ونظر إليها نظرة خاطفة ، ثم عاد لعمله قائلا :

- " لا بأس يا حبيبة القلب ، هل أنت ذاهبة للمنزل للاسترخاء " .

وهزت له رأسها فقال :

- " إذن أراك في الغد " .

واندفعت للشارع وقلبها مفعم بالشعور بالذنب لخداعه . وانطلقت في رحلة طويلة لمسكنها .

* * *

كانت "بات" و "جيني" تتأهبان للذهاب إلى حفلة ، حين توقفت "جيني" أمام باب حجرة "تيفاني" ، تنظر إليها باهتمام . وقالت لها :

- " أعلم أنني ألححت عليك أكثر من اللازم . ولكني أكرر عليك أنني أستطيع أن ألغي هذه الحفلة ، وأظل معك " .

- " ساكون بخير يا "جيني" ، فلا تفسدي عليك متعتك ، إنني فقط أريد النوم مبكرة " .

- " إنك تصرين على ألا تخبريه ، أليس كذلك ؟ " . وكانتا قد علمتا بموضوع الجنين .

- " لا معنى لهذا على الإطلاق . إن آخر ما يرد على ذهنه هو علاقة دائمة . وكل آمال مستقبله لا تمتد لأكثر من حفلة الافتتاح القادمة لحفلاته " . وانحنت لتطفئ غاز المدفأة ، وسرت في جسدها رعشة خفيفة وقالت :

- " إذا كان يهمك الأمر ، لقد طلب مني الانتقال للإقامة معه ، لأسبوع أو اثنين على حد قوله .

وماذا بعد ؟ "

- " ولهذا عدت مبكرة اليوم ، فلا أتصور أن لدي شجاعة أستجمعها للشجار معه مرة أخرى "

- " ولكن عليك أن تواجهيه ذات يوم " .

- " ليس بالضرورة ، إن وقته مشغول للغاية حاليا بالعرض القادم . ويعطيني هذا هدنة أربع وعشرين ساعة ، أكون قد عدت بعدها لأسرتي في "فير هام" . لقد اتصلت بوالدي بالفعل " .

ورفعت رأسها قليلا :

- " إنك لن تخبريه أين ذهبت ، أليس كذلك ؟ " .

- " أرجو أن تكوني على ثقة مما تفعلي . فإنه قد لا يقبل الرفض ببساطة".

- عليه أن يقبل . إني لا أقبل أن أعيش معه تحت شرط كهذا ، مجرد أني أعد نفسي للوداع " .

وتركتها "جيني" على مضض ، وانصرفت مع "بات" ، وكانت الساعة السابعة تقريبا ، فجمعت "تيفاني" ما ستأخذه معها في الصباح ، وأخذت حماما ممتعا، ثم شعرت بأنها تريد بالفعل أن تنام مبكرة ، وما إن تهيأت للفراش، حتى رن جرس التليفون ، فتوترت أعصابها ، وأخبرتها الحاسة السادسة أنه "هارلم" . فاتجهت لغرفة الاستقبال ، ووقفت تنظر للجهاز بحدة ، كما لو كان الطالب سوف يشعر بها ، إلى أن توقف الرنين .

وعاد الرنين بعد عشر دقائق ، ثم بعد ربع الساعة . وصعدت هي للفراش ، بعد أن دفنت الجهاز تحت عدة وسائد وأغلقت باب غرفة الاستقبال . وما إن لمست رأسها الوسادة حتى راحت في النوم .

وكان استيقاظها التالي على صوت طرق على الباب الخارجي كهزيم الرعد . ورأت أنها لا تزال التاسعة ، وأن أحدا لم يعد يرد على الطرق ، ولم تجد في نفسها الشجاعة لأن تذهب للنافذة لتنظر من الطارق . وكانت تسمع صوت محرك سيارة دائر ، وبعد مدة ، شعرت بالارتياح لسماعها السيارة تبتعد.

وأحست أنها فعلت ما يجب عليها عمله ، وإن كانت صدمة قاسية لها أن ترى مدى إصراره . وأسلمت نفسها للنوم مرة أخرى ، في دهشة لذلك السكون الداخلي الذي انتابها .

وكانت أولى المستيقظات في الصباح التالي ، وبدأت حركات آلية استعدادا للرحيل .كانت تعتزم أخذ حقيبة صغيرة معها ، على أن يأتي والدها في عطلة الأسبوع ليحضر بقية متعلقاتها . وكانت تعلم أن عليها أن تجيب عن تساؤلات والديها ، ولكن بدا لها ذلك في هذا الوقت

أفضل من مواجهة "هارلم" حول قرارها بإنهاء العلاقة بينهما فورا .

ونهضت "جيني" من فراشها لتحتضنها مودعة وقالت :

- " لو غيرت رأيك ذات يوم .."وهزت كتفيها "حسنا ، إنك تعلمين أين نحن " . واصطحبتها إلى الباب ، وقالت وهي تنزل الدرج :

- " انتبهي لنفسك " .

وتوقفت "تيفاني" عند البوابة الخارجية لتلوح لسيارة أجرة ، ولكنها تجمدت مكانها حين هبط شكل مألوف لها من سيارة أجرة توقفت أمامها .

ودوى صوت "هارلم" :

- " أراحلة أنت يا "تيفاني" ؟ " . ومد يده يريد أن يأخذ منها الحقيبة .

وصرخت في وجهه في فزع :

- " دعني وشأني" وجذبت منه الحقيبة ، وركضت راجعة تعتلي الدرج . وأزاحت "جيني" جانبا ، تريد أن تلوذ بالداخل . ولكن "هارلم" تمكن من اللحاق بها بكيفية ما ، وألقى بثقله على الباب ففتحه مرة أخرى .

- " لقد كنت موجودة الليلة الماضية ، إن هذا يؤكد ذلك " . وكانت تعبيرات وجهه قاتلة .

وحين بدأ يخطو للداخل ، تمكنت "تيفاني" من تفاديه ، والهرب منه إلى الخارج ، تريد أن تصل للشارع ، وتختطف السيارة الأجرة التي جاءت به لو لزم الأمر . ولكن شيئا ما حدث . فبدلا من أن تهبط درجات السلم آمنة ، انكفأت على وجهها بصرخة خافتة ، وهوت تتدحرج وخلفها حقيبتها .

وبدا كل شيء سابحا للحظة ، ولمحت وجه "جيني" الممتقع وهي تصرخ شيئا في وجه "هارلم" من أعلى السلم ، ثم هو بجوارها ، وشعرت بيده تحيط بها ، وسائق السيارة يخرج منها ، ثم هي تحمل إلى داخل المسكن .

وبدأت نوبات التقلص تنتابها والوجوه القلقة حولها ، ثم صوت سيارة إسعاف، قبل أن تروح في دنيا النسيان .

* * *

حين أفاقت ، وجدت "هارلم" إلى جوار سريرها بالمستشفى، جالسا على كرسي خشبي وقد غارت من عينيه الداكنتين العميقتين كل طاقة ، وحين رآها تستيقظ ، أمسك بيدها ، ولم يقل شيئا ، بل أخذ يربت يدها ووجهها برفق ، وحنان ، كما لو كان يشعر أنها ستروح في النسيان مرة أخرى وقالت وهي تحاول أن تجلس :

- " إنني أشعر أني بخير " . ثم تذكرت ، فتورد خداها وهي ترمقه بنظرة خاطفة .

- " نعم ، أنتما الاثنان بخير " وكان صوته ، مثل عينيه ، خاليا من الحياة كما لو كان قد فرغ من كل طاقة .

وسألته بكل ما تملك من حيوية :

- " أليس لديك اليوم تجربة العرض الفنية ؟ " .

قال وهو يضغط يدها :

- " لماذا كنت آخر من يعرف ؟ " .

وحاولت جذب يدها ، وأن تشيح ببصرها لتتفادى تلك النظرة الحارقة من عينيه ، ولكنه أدار وجهها له بيده الأخرى ، وسأل :

- " لماذا يا "تيفاني" ؟ ماذا كنت تظنين أني قائل ؟ " .

قالت بصوت خفيض ، وهي تولي بنظرها بعيدا :

- " لم أكن أدري كيف أخبرك . إنك لا تريد شيئا دائما ، وكنت سابدو كما لو كنت أصوب مسدسا لرأسك ! " .

قال وهو يترك يدها :

- " يا لك من غبية صغيرة " . وجلس محملقا إلى الحائط ، كما لو كان تقرأ عليه رسالة موجهة إليه .

وأسرعت بالقول :

- " لم يكن الأمر مهما ، فلست أنوي الزواج ، وقد دبرت أمري . أمامي بضعة أشهر يمكنني فيها العمل . وبعدها يمكن أن أحصل على أعمال بالقطعة ، أقوم بتنفيذها في المنزل " .

- " وماذا عني أنا ؟ " .

- " ماذا عنك ؟ " . ورمته بنظرة سريعة ، ولكن لم يكن يبدو على وجهه ما يفصح عن قصده .

وعاد ليمسك يدها ، ويتفحصها كما لو كان لم يرها من قبل :

- " إن للرجال مسؤوليات أيضا كما تعلمين " .

وردت باقتضاب :

- " إنني لا أريد زوجا " .

- " وماذا عن طفلنا ، ألا يريد أبا " .

- " لا أعتقد أن لهذا أهمية ، فكثير من النساء ربين أولادهن بأنفسهن " .

- " ليس أطفالي أنا " .

وتصلب جسدها :

- " إن المسألة بالنسبة لك مسألة ملكية ليس إلا . أنا أعلم أنك تكره أن تكون مقيدا بأي شيء ، وما إن ينحسر عنك شعور الأبوة الجديد ، حتى تفقد رغبة التملك هذه . " وأبعدت نظرها عنه " أرجوك أن تقرع الجرس ، أريد أن أسأل متى يمكنني الخروج " .

- " أين تريدين الذهاب ؟ " .

- " هذا ليس من شأنك " .

- " يمكنني أن أطلب لك سيارة أجرة ، هذا كل ما هناك " .

وجفلت للبساطة التي تقبل بها قرارها ، وقالت بصوت مرتعش :

- " لا عليك ، يمكن لإحدى الممرضات أن تفعل ذلك " .

وأصدر صوتا مكتوما ، ونهض واقفا ، وقرع لها الجرس كما أرادت، وحين بدا رأس الممرضة خلال الباب ، كان هو في طريقه للخروج .

واخبرتها الممرضة انها بإمكانها الخروج بعد الغداء . واخذت هي ترمق "هارلم" بدون كلمة . وإذا به يقول باقتضاب :

- " إذا لم يكن بك باس ، اريدك اليوم عصرا بالمسرح . فامامنا افتتاح إذا كنت قد نسيت ، وانت مقيدة بعقد عليك تنفيذه " .

وصاحت وهو يفتح الباب :

- " "هارلم" " . فرد محذرا :

- " كوني هناك " .

- " انتظر .. اسمع ، إنني لن اعود ، وقد غيرت رأيي بالنسبة للعمل معك " .

- " واضح ، ولكنه قرار ليس فرديا يا عزيزتي ، أولم يخبرك أحد بذلك ؟ " . وشمخ لها بفمه ، ورغم الأفكار التي كانت تطن في رأسها ، فقد اثارت هذه الحركة كل جسمها . وانصرف تاركا إياها بشعور الهزيمة . إنها لا تتصوره بهذه الفظاظة لأن يطلب منها العمل في ذلك اليوم بعد ما حدث .

وقالت لنفسها وهي تتاهب لمغادرة المستشفى : " لو كان يعتقد فعلا انه يمكنني ان أعمل اليوم ، فهو إذن أشد جنونا مما تصورته " . وحين طلبت سيارة أجرة ، قوبلت بنظرات دهشة ، وقيل لها إن هناك من ينتظرها بسيارة .

وعبرت البهو يغمرها شعور بالريبة ، ولم يكن للمستشفى سوى مخرج واحد ، ولكن ذلك لم يكن يعني أن تحني رأسها لـ"هارلم" ، فسيارات الأجرة لا ينقطع سيلها أمام باب المستشفى . ولكنها وجدت ان "هارلم" لم يكن هو المنتظر في موقف الانتظار ، بل كان "فرانك" .

واقبل عليها مبتسما :

- " إنك تبدين بخير ، كيف حالك ؟ " .

قالت :

- "مائة بالمائة" . ولم يقل شيئا حول نيتها عدم الحضور للاستوديو، وربما لم يكن يعلم . وقادها للسيارة المنتظرة .

وحين عادا للمسرح ، أخذها إلى أحد الألواح الممتدة فوق المقصورات قائلا:

- " إن المكان هنا أكثر راحة . " وأجلسها على كرسي وثير ذي مسندين وقال "ما رأيك في شيء من القهوة ؟ " .

وسالته وهو لدى باب اللوج :

- " وهل انت باق معي يا "فرانك" ؟ " .

- " بالتاكيد ، وكذا بقية الأولاد . إن رفع الستارة بعد عشر دقائق " .

وبعد أن انصرف ، القت بنظرة على الصالة ، فوجدتها مكتظة بعدد من الجمهور اكبر مما توقعت لتجربة العرض النهائية . ولكن "هارلم" كان يريد اكبر قدر من الحضور ، فالعرض هو أول باليه كامل للفرقة الناشئة ، وإنتاج ضخم طموح ، وكان يريد اكبر قدر من ردود الأفعال ، حتى ولو لم يكن ذلك يؤدي لتغيرات جوهرية .

ولم يكن قد ظهر للآن ، ولم تتوقعه هي ، عالمة بمدى مشغولياته في الكواليس في هذا الوقت . وعاد "فرانك" سريعا ، وبصحبته "جافين" و"جاسون" ، ثم بدأ العرض .

وبعد ساعتين ، كان الصمت مخيما على الحاضرين ، والأنوار تخفت تدريجيا على المسرح .

وجاء صوت "هارلم" مجلجلا في الظلام :

- " حسنا ، أضيئوا الأنوار " . وسرعان ما غمر المكان بالأضواء . وساد صمت ثقيل ، وبدا الممثلون والراقصون في ملابس مزخرفة ، غريبة ومساحيق وجوههم مغالى فيها . وامسكت "تيفاني" انفاسها حتى كادت ضلوعها تتمزق . أما "هارلم" نفسه فقد بدا منكمشا ، واقفاً وحيدا ، كان هو الوحيد الذي لا يرتدي قناع المسرح . لقد افرغ كل ذاته في ذلك العمل حقا ، كاشفا مدى حساسيته في إخراج عرض كهذا . وبدأ قلبها يرتجف وهي تدرك مدى شجاعته فيما قدم من عمل . واخذت ترقبه وهو يطرف بصره تحت الأضواء التي تبهر الأبصار ، فتفجر قلبها له ينابيع من الحنان .

وشعرت بحركة اسفلها ، فنظرت ، فوجدت المشاهدين يقفون الواحد وراء الواحد ، وبدا احدهم في التصفيق ، ثم تلاه آخر ، وسرعان ما دوى المكان بتصفيق محموم ، ولم يعد لديها شك في رد الفعل من الحاضرين .

ونظرت إلى "فرانك" ، فإذا به قد وقف مصفقا هو الآخر ، وكان العرض حقيقي ، وانحنى "جاسون" للأمام ممسكا بكتفها ، فالتفتت وإذا بالدموع منهمرة من عينيه ، وقال وهو يهز كتفها :

- " عرض مؤثر للغاية " ثم نهض صائحا :

- " رائع ، رائع " وسرعان ما تبعه "جافين" ، ولم يبق سوى "تيفاني" جالسة.

وبعد ان خمد الضجيج ، شكر "هارلم" الجميع ، ثم اخبر افراد الفرقة انه لا ملاحظات لديه ، وامله الا تكون تجربة العرض الناجحة نذيرا بافتتاح ذريع الفشل ، وبعد ان تمنى لهم حظا سعيدا ، واخبرهم بموعد عودتهم ، مضى بخطواته غير المنتظمة مغادرا خشبة المسرح .

وشعرت "تيفاني" بالتوتر ، ثم سرعان ما فتح الباب خلفها ، وبدا "هارلم" عملاقا كشانه ، وقد زال عنه كل مظهر للانكماش . واخذ "فرانك" وبقية افراد الفرقة يصافحونه بحرارة ويربتون ظهره لعدة دقائق ، ثم انصرفوا ، تاركين "تيفاني" كسفينة هجرها ملاحوها .

وجاء ليجلس على حافة السور ، مادا قدميه في اتجاهها . وقالت لتكسر الصمت الثقيل السائد بينهما :

- " لقد غيرت الخاتمة بالفعل" ، وكانت تتساءل كيف سيمكنها الفرار؟ " .

وقال :

- " لقد شعرت بنوبة مفاجئة من التفاؤل ، ولكن لا يزال هناك وقت للتراجع" .

وهبطت بنظرها إلى انامله .

- "تيفاني" ، اتريدين ان نتكلم هنا ، ام نذهب إلى مكان .. ؟" .

- " لست اريد ان اتكلم في اي مكان . لا اعتقد ان هناك كلاما يقال . إنني اعرف مشاعرك وانت تعرف مشاعري ، وقد انتهت القصة " .

- " لست متاكدا انك تدركين مشاعري " ثم توقف قليلا : "كما انك لم تجيبي عن سؤالي بعد " .

- " اي سؤال ؟" .

- " لماذا كنت آخر من يعلم ؟ لقد كان "فرانك" يعلم " .

- " لقد استنتج بنفسه ، فهو إنسان ذكي وحساس .. " .

- " بالتاكيد هو كذلك ، فهو من اعز اصدقائي " . وانفجرت فيه :

- " لا ياخذك الغرور بناء على ذلك " .

- " إن نصف سكان "لندن" قد يكونون قد علموا بالأمر ، والشخص الذي يحب ان يعرف ، لم تكن لديه فكرة " . ثم نظر متحيرا : " اكان علي ان اعرف بنفسي ؟ لو كان هذا حقا ، فقد فشلت . اهذا هو الامر ؟ هل كان علي ان اخمن ؟ " .

- " وما الفرق لو كنت قد عرفت ؟ " .

ورد مقرا:

- " لا شيء . إذا كنت تريدين ان تعيشي كام بدون زوج ، فهذا من حقك ، ولكن لا تتوقعي ان اتخلى عن حقوقي بسهولة ، مهما كانت اراؤك عني في صلاحيتي كاب " .

وقالت في غيظ :

- " ليس بإمكاني ان امنعك من المحاولة إن كنت مصرا ، ولكني اقترح ان نفترق بالمعروف " .

ورد بسرعة :

- " بل لا اريد ان نفترق ابدا . حين عدت من رحلة الصيف ، لم اكن ادري حقيقة مشاعري لاي شيء . وشعرت بان الواجب ان نعطي انفسنا فرصة من التباعد ولكن خارت عزيمتي امامك " .

- " نعم ، لقد كنت بالنسبة لك كإحدى راقصاتك تلهو بي كما تشاء ، ثم تنبذني بعد اسبوع او اسبوعين ، حين تملني " .

- " لم اكن لأملك في أسبوع او في عام . بل إن عمري كله لم يكن ليكفي . ما هذا الذي تقولين حول نبذك ؟ " .

- " اليس هذا معنى كلامك ؟ اسبوع او اثنين ؟ " .

وتنهد :

- " لقد اخذت افكر فيما قلته لك طوال عصر امس ، ولو انتظرت ، لعدلت طلبي لك إلى شيء آخر ؟ " .

وسالته بشك :

- " وما هو ؟ " .

وجالت نظراته في وجهها :

- " كنت ساطلب منك الزواج " .

وشعرت بنفسها تتجمد ، ولكن عينيها كانتا في اقصى اتساعهما :

- " اكنت ستفعل ؟ " .

وهز كتفيه :

- " لقد كانت فكرة مجنونة طرات علي في اثناء تجارب العرض . خطرت لي فجاة ، ولم اكن ادري لماذا لم اذكرها لك من قبل . ربما تصورت انك ما كنت لتتحمسي للأمر " .

وحملقت إليه :

- " ثم إنك لست من النوع الميال للزواج . وماذا الآن ؟ " .

- " حسنا ، يبدو انك مصرة تماما على ان تكوني اما بلا زوج ، ولذا فسوف افكر في الأمر مرة اخرى " ، وصمت لحظة ثم استطرد : "اللهم إلا إذا كانت هناك فرصة مهما كانت ضئيلة لاثنيك عن عزمك " .

- " وما الذي يضمن لي انك لم تخترع هذه القصة بسبب شعور مبالغ فيه بالواجب ؟ إنني لن اتزوج إنسانا تحت هذا الظرف . إنك لو لم تعلم انني حامل منك ، لما فكرت لحظة في الزواج بي " .

- " اسالي "فرانك" عن الأمر " .

- " وما شان "فرانك" بهذا بحق السماء ؟ " .

- " حسنا " وبدل رجليه : " بعد ان هبطت علي الفكرة امس ، اردت

ان امضي بها على الفور ، وفوجئت باختفائك ، فهرعت إلى "فرانك" ، ولم اكن اعلم على وجه اليقين كيف تطورت العلاقة بينكما في غيابي ، ورايت من الواجب ان اخبره بعزمي ، فرحب بكل حرارة . واساليه بنفسك " . ومد يديه وامسك بيديها : " واعترف بانك قد اثرت ذهني بفكرة لم تخطر لي من قبل وهي ان الحب وسيلة للتطهير من الآثام . لقد جعلت انت منها فكرة رقصة لم تكن لتواتيني " .

- " يسعدني ان اكون قد فعلت شيئا طيبا " . وكانت سعيدة بجلوسها ، إذ كانت ركبتاها تصطدمان بتاثير إمساكه بيديها .

- " اعترف ايضا بانني كنت اخشاك من اول مرة رايتك فيها ، فقد كنت ارى فيك خطرا على تحكمي بنفسي . وقد ظننت الأمر متعلقا بجسدك ، ولكن سرعان ما اكتشفت ان الأمر اعمق من ذلك " .

وتركته ينهضها على قدميها ، وقالت له :

- " لقد كان امرا فظيعا لقاؤنا بعد عودتك . لقد قال لي "فرانك" إنك محتاج لفترة تتصالح فيها مع نفسك ، وكنت اعلل نفسي بانك ستعود لي مع الوقت ، ولكن ذلك اللقاء كان فظيعا . وحتى في لقاءاتنا المسائية بعد ذلك . كنت تقبل علي بجسدك ، ولكن ذهنك كان في مكان آخر " .

وحاولت ان تعبس في وجهه ، ولكن علامات الاسترخاء التي بدات تكسو ملامحه اجبرت عينيها على ان ترقا له ، واستطردت ، وهي تميل عليه متخلية عن اي فكرة للمقاومة :

- " لم اكن افهم ما تريد . وكنت تعطيني انطباعا انني لا اهمك بالمرة " .

- " لقد كان الأمر صراعا مع نفسي ، حين كنت احاول إبعادك عني ، فرغم اني كنت اريد ان استسلم لك كلية ، كنت اخشى لو تماديت في حبك ، ان افقدك يوما ما .. " ثم هبط بنظره إلى عصاه : " وكنت اخشى ان اتقدم لك وهذه في يدي " .

وودت لو تطبق على فمه بشفتيها ، ولكنها تمالكت نفسها وقالت :

- " انت في نظري الآن اقوى من اي رجال رايتهم ، او ساراهم في

المستقبل " .

وزاد صوته عمقا وهو يقول :

- " حين اختفيت أمس ، زالت كل شكوكي ، وعلمت انه لا يوجد حل آخر . " ثم رفع ذقنها : " قولي يا "تيفاني" ، هل تتزوجينني ؟ "

وردت عليه :

- " وهل تظن انه بإمكاني أن أعيش بدونك ؟ " . وراحا في عناق طويل .

(تمت بحمد الله)

angel08 www.remity.com